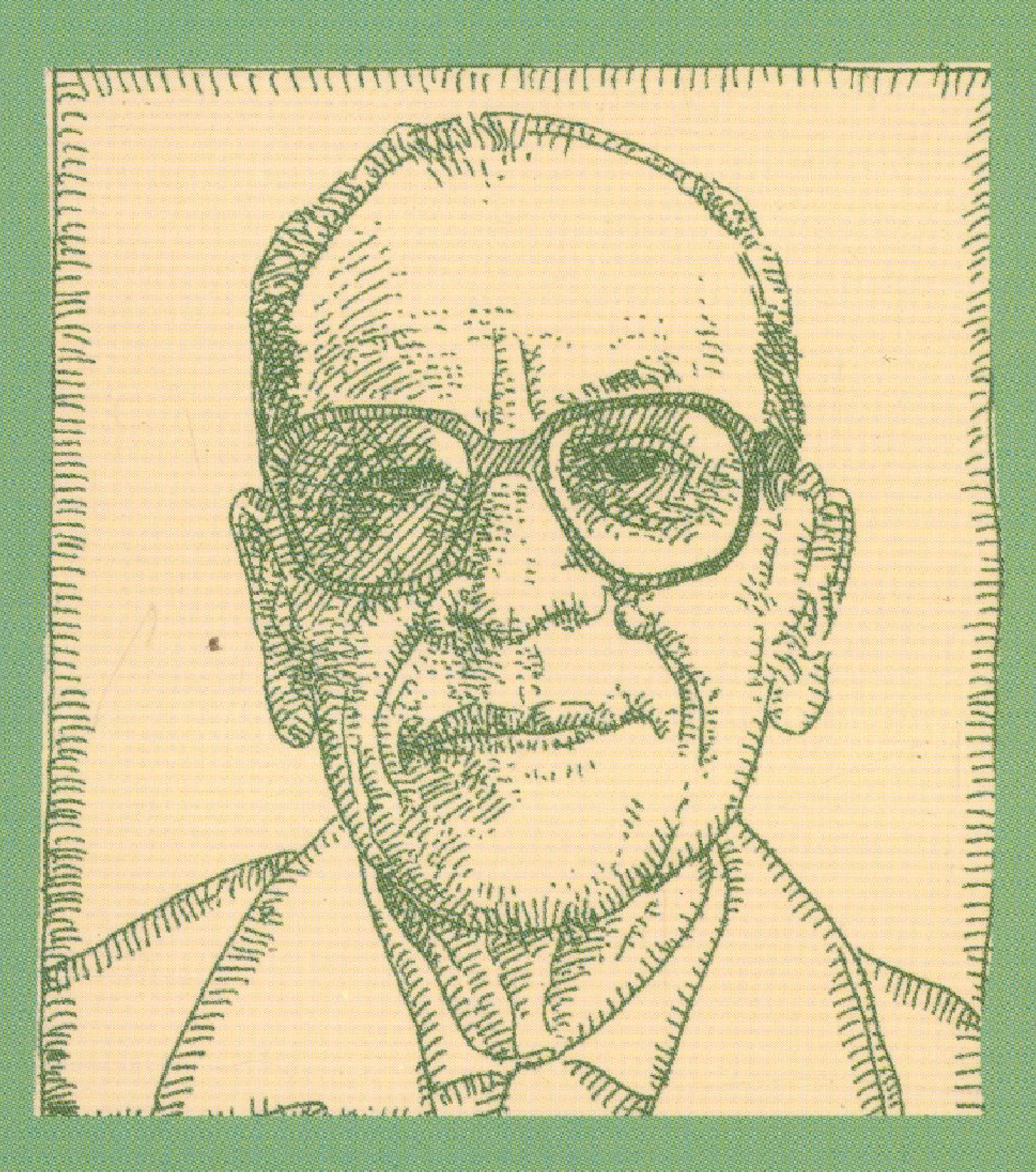
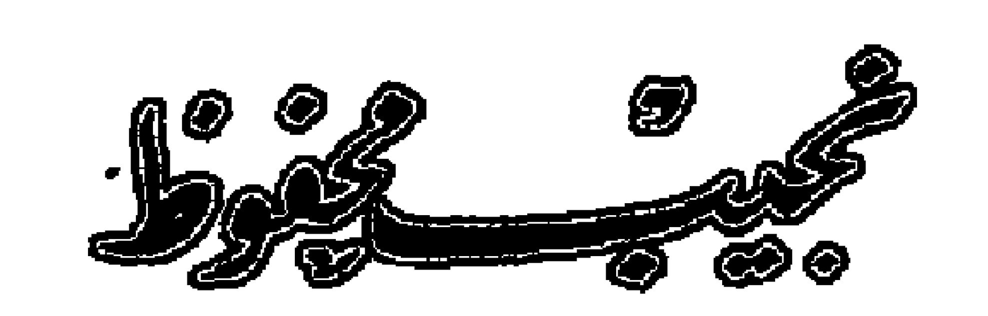
نجيب محفوظ

لقاءات وحوارات

إعداد : سلوى العناني

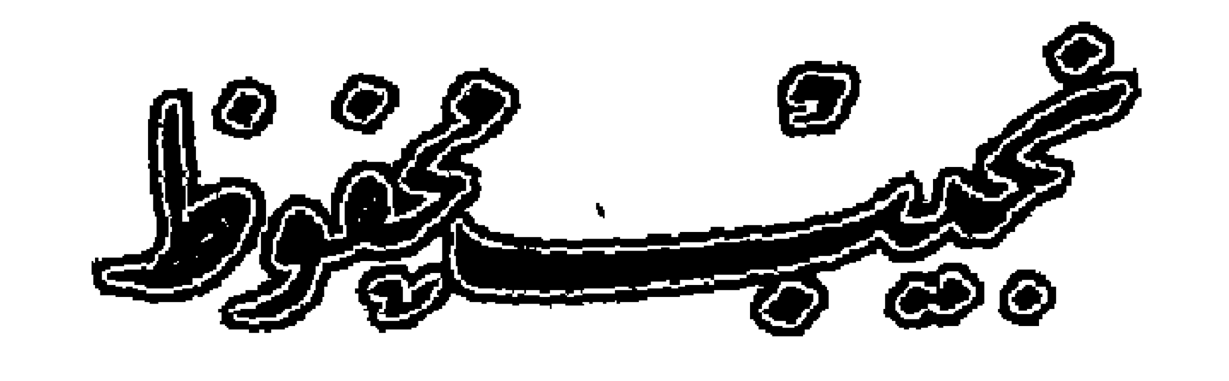


الدار المصرية اللبنانية



لقاءات وحوارات

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت تليفون: 3910250
فاكس: 3909618- ص.ب 2022 - القاهرة
www.almasriah.com
e-mail:info@almasriah.com
تجهيزات فنية : آر - تك- ت : 3143632
طبع: آمون ت: 7944517 - 7944356
رقم الإيداع: 21513 / 2006
الترقيم الدولي: 8 - 087 - 427 - 977
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى: ذو القعدة 1427هـ - ديسمبر 2006م



لقاءات وحوارات

إعداد : سلوى العناني



الدار المصرية اللبنانية





محفوظ وأنا

أكاد لا أذكر أول لقاء جمعني بهذا الكاتب العظيم، فقد كان لقاءً على صفحة روايته بين القصرين، قرأتها وأنا لا أزال صبية صغيرة ـ ما بين العاشرة والثانية عشرة ـ ولم أفهم يومها كثيرًا مما قرأت، لكنني أمسكت بخيوط الحكاية، التي عاشت في حنايا ذاكرتي، أستعيدها كلما عايشت موقفًا مشابهًا، أو لقيت شخصية تقترب في ملامحها من واحدٍ من هذه الشخصيات الرائعة، التي رسمها قلم محفوظ.

ومع مرور السنوات – العمرية والعقلية ـ التقطت أصابعي عددًا من الروايات والمجموعات القصصية، التي تحمل توقيع (نجيب محفوظ)، وكنت أشعر بلهفة كبيرة لقراءة أي قصة أو رواية أراها على شاشة السينما، فالفضول كان يدفعني دائمًا كي أعرف ماذا كتب

(محفوظ)؟ وكيف انتقل هذا الفكر من صمت الحروف إلى حيوية الصوت والصورة واللون؟

إلى أن كانت بداية عام ١٩٨٠، عندما انتقلت للعمل فى مؤسسة الأهرام، لأكون مساعدًا أدبيًا للكاتب الكبير (توفيق الحكيم)، ولأسكن معه الغرفة (٦٠٦)، التى كانت لا تسعد كثيرًا بالزوار والمريدين، إلاَّ كل (خميس)، حيث تفتح بابها لأى زائر دون موعد مسبق.

ولم يكن هذا (الباب المفتوح) هو السمة الوحيدة ليوم الخميس، لكن كان هناك شىء آخر أجمل وأهم، ففى هذا اليوم كان يحضر إلى مكتبه كل من أ. نجيب محفوظ ود. زكى نجيب محمود ود. حسين فوزى، وكان ثلاثتهم يسكن الغرفة (٦٠٧)، المجاورة لغرفة الحكيم، وكان ثلاثتهم لا يجلس إلى مكتبه إلا للضرورة، بينما كان أغلب الوقت يمضى فى صحبة الحكيم وزوَّاره، وكان ينضم إلى هذه المجموعة كلٌّ من يوسف إدريس، وبنت الشاطئ، وعبد الرحمن الشرقاوى، وصلاح طاهر، وثروت أباظة، ولويس عوض، وإحسان عبد القدوس، ولطفى الخولى وغيرهم، وبالطبع كنت أسعد أنا بصحبة كل هؤلاء، أسمع، أنصت، أضحك، أسجل أحيانًا بعض الكلمات والمواقف، التى نشرت فى حينها على صفحات الأهرام، لكن كان الأهم بالنسبة لى هو هذه الصور المتجاورة التى رسمتها فى داخلى لكل من هؤلاء، وغيرهم.

بمرور الوقت تتحدد معالم الصورة، وتظهر الألوان، ويوضع

الإطار الذى يليق بكل صورة، وأغوص فى الأعماق وتمتلىء كفّاى باللآلئ، وأحيانا بالشوائب، وتصحو ملكة الانتقاء والاختيار وتزداد لهفتى للقراءة، قراءة ما يكتب هؤلاء لتضيف إلى الصورة خطوطًا جديدة، أو تطمس بعض معالمها.

أقرأ الكتب، ثم أحاول أن أقرأ الكُتَّاب، وأطابق اللفظ بالشخص، وأترجم الفكر بالأداء، حالة من الزخم الفنى والفكرى قضيتها فى رفقه هؤلاء، استمرت لما يزيد على عام.

لكن: كان من المستحيل أن تطول أيامى إلى جوار الحكيم، فإثر مناقشة انفعاليه بيننا، قررت أن أنقل مكتبى من جوار الحكيم، وأن أترك الغرفة (٦٠٦)، إلى الغرفة المجاورة(٦٠٧)، وكنت أقضى وقتى بين الغرفتين، ومع مرور الأيام زادت ساعات وجودى فى (٦٠٧)، وقل الوقت الذى أقضيه مع الحكيم فى غرفته، لأقرر فى أكتوبر ١٩٨١، أن أترك العمل مع الحكيم وأغادر غرفة (٦٠٧)، إلى غرفة (٦٢٤) مع محررى القسم الأدبى.

وكانت الشهور التى قضيتها فى غرفة (٦٠٧)، فرصة جميلة كى يزداد اقترابى من نجيب محفوظ، وهو الكاتب الذى احتلت صورته عندى الصدارة دون غيره من الكتاب، ليس إنكارًا لفضل هؤلاء الآخرين ولا تقليلاً من عطائهم، لكن إكبارًا لهذه الإنسانية المتفردة التى يحظى بها (محفوظ).

كان محفوظ يحضر إلى الاهرام صباح كل خميس بانتظام ودقة

شديدين،كان يأتى أحيانًا فى أيام أخرى إذا ارتبط مع أحد الزوار بموعد محدد.

يأتى (محفوظ) إلى مكتبه تسبقه ابتسامته الودود، وهو يلقى تحية الصباح على كل من يقابل – يعرفه أولا يعرفه – ويحرص على أن ينادى من يعرفهم بأسمائهم تأكيدًا لعمق مودته .

أثناء إقامتى فى غرفة (٦٠٧)، التى أسكنها مع (محفوظ)، كنت أتلقى بعض المكالمات الخاصة به، فإذا استشعرت أهمية لإحداها، كنت أكتب مذكرة بها، ثم أتصل بمنزل محفوظ، وأعطى الرسالة له أو للسيدة زوجته، وكان محفوظ يمتن كثيرًا لما أفعل ويعتبره – فضلاً عظيمًا- بينما هو سلوك تلقائى يحدث عادة بين زملاء الغرفة، فما بالك لو كان زميلك (نجيب محفوظ).

واستمرت علاقة الود تربطنى بنجيب محفوظ، حتى أننى كنت أهاتفه فى منزله بعد أن تركت الغرفة (٦٠٧)، مجددة لود فرحت به، وحرصت عليه، وكنت أنتهز أى فرصة لأحضر ندوة(محفوظ) فى كازينو قصر النيل – وكان رحمه الله – يبدى سعادته لقدومى، ويرحب بى بشكل خاص قائلا: (أهلا ياست سلوى).

وفى الثالث عشر من أكتوبر ١٩٨٨، تناقلت وكالات الأنباء والإذاعات، خبر حصول الكاتب المصرى الكبير نجيب محفوظ، على جائزة نوبل فى الأدب، ليكون أول عربى يحصل على هذا الاعتراف بعالمية إبداعه.

يومها وجدتنى أتجه إلى منزل نجيب محفوظ دون سابق موعد، أطرق الباب لتفتح لى قرينته (عطية الله)، ونلتقى للمرة الأولى، وما إن قدمت نفسى لها، حتى احتضنتنى بين ذراعيها، فقد كانت هناك مساحة ود بيننا من خلال المحادثات الهاتفية، وباقات الزهور التى تنوب عنى فى تهنئة (محفوظ) بأعياد ميلاده.

قضيت الأمسية فى منزل محفوظ الذى ازدحم بالزوار، بينما كان صاحب البيت غير موجود، كان موجودًا فى مؤسسة الأهرام منذ لحظة إعلان الجائزة، وجدتنى أتحرك فى بهو المنزل مع أسرته، وكأننى واحدة منهن استقبل هذا، وأودع ذاك، وأكتب فى ورقة صغيرة أسماء الحضور، وكان أغلبهم من الشخصيات العامة، وبعد العاشرة وصل الأستاذ وحوله كوكبة من أصدقائه ومريديه.

وكان هذا اليوم ـ على حد قول محفوظ نفسه ـ نقطة تحول فى حياته، فقد أصبح مركز اهتمام كل أجهزة الإعلام المحلية والعالمية، وتزاحم عليه الإعلاميون كل يتمنى أن يتحدث اليه.

وفتحت الأهرام غرفة(٦٠٦)، وهى غرفة الراحل توفيق الحكيم، ليجلس فيها محفوظ، فقد كانت أوسع كثيرًا من غرفته (٦٠٧)، لكن الرجل – وبأخلاق المصرى الأصيل ـ رفض أن يجلس على مقعد الحكيم، وأمام مكتبه، واختار لنفسه مقعدًا آخر فى الصالون الملحق بالغرفة، وقال: لا يمكن أن أجلس على مقعد أستاذى.

رأيت (محفوظ) يومًا وقد التف حوله مايزيد على عشرين إعلاميا،

منهم من يحمل جهاز تسجيل، ومنهم من يحمل آلة تصوير، وكل يحاول أن يظفر من (محفوظ) بكلمة أو لقطة، والرجل يبتسم للجميع ولا يستطيع أن يسمع أحدًا، وبذل الزميل فتحى العشرى يومها جهدًا كبيرًا لتفريق هذا الزحام، وتنظيم التحدث إلى الرجل الذى عاش حياته كلها هادئًا بعيدًا عن مثل هذا الجو الصاخب.

ولأن علاقتى بنجيب محفوظ كان يغلفها الود، فإن الرجل لم يرفض لى طلبا لموعدٍ، أو حديث طوال حياته، وكان يفضل أن يكون موعدنا فى منزله، حيث أكون محل ترحيب أسرته كلها، زوجته السيدة عطية الله وكريمتيه فاطمة وأم كلثوم.

وكنتُ قبل كل لقاء لى مع نجيب محفوظ، أعيش أزمة بينى وبين نفسى، فما الأسئلة التى سأحملها إليه؟ وما الموضوعات والقضايا التى سأناقشها معه؟ أقلّب فى أرشيف (نجيب محفوظ)، فأجد الآخرين وقد سبقونى إلى كل ما يخطر على البال من موضوعات.

ولا يكون أمامى إلاَّ أن أقرأ أعماله من جديد، ثم أقرأ الدراسات النقدية التى كتبت حوله، ثم اقرأ مقالاته، واستعيد آراءه التى رددها فى حواراته، وأحمل الأسئلة والأفكار الجديدة وأذهب إلى نجيب محفوظ.

عندما يفتح لى باب البيت أشعر بالفرحة، فأنا ضيفة فوق العادة عند مضيف كريم،فعظمة هذا الرجل وعظيم قدره، لا يأتى من كونه أديبًا كبيرًا، ولا كاتبًا عملاقًا، حصل على أعلى جائزة عالمية فى الأدب،

لكن عظمته تأتى من أصالته الحقيقية، من سلوكه وأخلاقياته، من بشاشته وبساطته، فهو عف اللسان، أشهد أننى لم أسمعه يطعن فى أحد أو يسب أحدًا فى حضوره أو غيابه، وإذا ذكر اسم شخص أمامه وكان له رأى سلبى حوله التزم الصمت، لم تعرف شفتاه فحش الألفاظ ولا بذيئها، كما لم يعرف قلبه سواد المشاعر ولا حقدها.

كان أجمل ما فى الرجل، هو هذه الابتسامة الصافية، والضحكة المجلجلة التى تنم عن قلب فى بياض الحليب.

سعدت بجوار (نجيب محفوظ)، وأحمل له فى قلبى رصيدًا كبيرًا من التقدير الإنسانى والفنى، وها أنا أجمع كل ما كتبته عنه، ومعه، كنت أسجل كلماته وأكتبها كما نطقها، فلنجيب محفوظ لغة يصعب أن تصفها إلا بأنها (لغة نجيب محفوظ)، لها مفرداتها وتعبيراتها ومواطن جمالها (الخاصة جدا) .

وقد آثرت أن أرتب حواراتى مع نجيب محفوظ بترتيب عكسى، فيكون الأحدث منها فى البداية، إلى أن تنتهى مع أول حوار، مع مجموعة من الصور التى جمعتنى بهذا العملاق، ولكل صورة ذكريات.

سلوى



الحارة فى أدب نجيب محفوظ *

ارتبط نجيب محفوظ بالحارة المصرية، وجعل من مساحتها المحدودة عالمًا فنيًا لا محدود المساحة والأعماق والشخصيات، ومن هذا العالم الخاص جدًا، انطلق محفوظ يحطم حدود اللغة والفكر، وينطلق إلى العالم الكبير الذى تنبه ـ أخيرًا ـ إلى أن اللغة العربية وأدابها استطاعت من خلال كتابها ومفكريها، أن تقف على المستوى نفسه الذى وصلته غيرها من الآداب، فتمهل النقاد العالميون عند هذا الإنتاج العربى، لتبهرهم الحارة المصرية بتفاصيلها ومنمنماتها، بفتواتها وبائعيها الجائلين، بالأناس الطيبين والأوغاد والنصابين، بروح الثورة والرفض للظلم والقهر، بالإحساس القومى والانتماء الوطنى، عالم

(*) الأهرام فى ٢١/ ١٢/ ٢٠٠١.

يجمع المتناقضات ويربطها بخيوط غير مرئية فى علاقات حتمية، وصراعات يولدها الاختلاف والاتفاق.

هكذا: كانت ـ ولاتزال ـ الحارة هى المكان الأثير الذى يعيش فيه محفوظ.

وتأتى [حكايات حارتنا] التى كتبها محفوظ فى عام ١٩٧٥، بضمير المتكلم، فتبدو وكأنها نوع من السيرة الذاتية، استعاد فيها الكاتب ذكرياته عن المواقف، والأشخاص الذين شاركوه هذه الطفولة أو أحاطوا بها.

وتطل عين الصغير على أشياء غريبة، وحميمة، يقف أمامها منبهرًا. يفتش فيها عن التفاصيل التى قد لا تخطر على بال أحد، ثم يقيم هذا الصغير علاقات خاصة بالآخرين – كبارًا وصغارًا – ويرسم عالمه من خلال عوالمهم.

طفل يرى أباه ضخمًا فى الحجم، قويًا فى القدرة خارقًا فى الذكاء، يراه مثلاً ونموذجًا يسير فى ظله وعلى ضوء أفعاله، كذلك يرى أمه وأخاه الأكبر، لكنه يجد ندية فى التعامل مع رفاقه فى (الحارة)، وأقرانه فى الكُتَّاب، وقد تصحو غريزة الجنس ليظهر نمط أخر (غامض) من العلاقة بينه وبين زميلاته.

هذا القدر من الصدق الفنى، النابع من الصدق الحقيقى مع النفس، لا يتأتَّى إلا لقلم مثل قلم محفوظ الذى لم يخط أبدًا إلاَّ (الصدق).

فالتجربة الفنية عند محفوظ، تختلط فى كثيرٍ من الأحيان مع التجربة الشخصية، تفجر الثانية الأولى، وتضع يده عليها وتلفت نظره، فيستيقظ الفنان داخله مستخدمًا هذه المواقف العابرة ـ وربما الكلمات غير المتعمدة – مادة أساسية لعمل، أو لعدة أعمال آتية من الواقع، معجونة بالرؤية الفنية، معروضة فى إطارٍ لغوى جميل، إطار فصيح راق، يتحرك صعودًا وهبوطًا مع مستوى الشخصية الناطقة به.

والحارة عند نجيب محفوظ ليست مكانًا للسكنى والإقامة فقط، بل هى مكان للحياة، فالحارة مكان للسكن، كما هى مكان للتجارة والمعاملات الحياتية، وهى مسرح للعلاقات الإنسانية والصراعات البشرية باتفاقها واختلافها، وهى فوق هذا وذلك، مكان تبدأ منه مشاعر الانتماء للحى، ثم للمدينة، وصولاً إلى الانتماء للوطن، لهذا فإن الحارة هى المدرسة الأولى التى تعلم فيها محفوظ، وغيره من المصريين أول دروس الوطنية، ففى الحارة رأى محفوظ أول مظاهرة، وسمع للمرة الأولى (سعد سعد)... (يحيا سعد)... (نموت نموت وتحيا مصر).

دخلت هذه التعبيرات أذن محفوظ، ثم تجاوزتها إلى خلايا رأسه، لتزرع داخله انتماءً وارتباطًا لم تستطع الأيام أن تزعزعه أبدًا، فظل نجيب محفوظ وفيًا لهذا العالم، الذى ولد وعاش فيه صغيرًا، ثم كان مسرحًا لصباه وشبابه.

عندما صدرت حكايات حارتنا، تم تصنيفها كرواية من فصول قصيرة، يحمل كل فصل رقمًا مسلسلاً (الحكاية)، لكن لو أخذنا كل

حكاية من هذه الحكايات على حدة، فسنجدها قصة قصيرة مكتملة الأركان، وهذا شكل من أشكال عبقرية إبداع الكاتب نجيب محفوظ، الذى جعل روايته كحبات المسبحة تنتظم وتتابع فى خيط واحد، فى الوقت الذى حافظت فيه كل حبة على لونها واستقلاليتها، فأنت إما قارئ لحكايات قصيرة، أو لرواية طويلة، وأنت فى الحالين سائر فى دروب محفوظ (الضيقة)، وفى حواريه المتعرجة، سامع لضجيج الباعة وعراك الأطفال ـ أو الكبار ـ يمتلئ الجو حولك بروائح البخور أو (قلى الطعمية)، على البعد ستلمح معالم سبيل أثرى، وقد تعترض سيرك (عربية كشرى)، أو بائع جائل ينادى على الكحكات الصغيرة، (عشرين كحكة بقرش أبيض)، لكن صوت الآذان سيغطى حتمًا فوق كل الأصوات، فهو يصلك من كل الاتجاهات، فمن فوق أكثر من عشرين مئذنة تنطلق أصوات المؤذنين، وقطعًا ستقرر بعد أداء الصلاة أن تجلس إلى أحد المقاهى، فلا بأس من (كوب شاى بالنعناع الأخضر)، فى حارة نجيب محفوظ.



الحكاية رقم (١)

يروق لى اللعب فى الساحة بين القبور والتكية، ومثل جميع الأطفال أرنو إلى أشجار التوت بحديقة التكية، أوراقها الخضر هى ينابيع الخضرة الوحيدة فى حارتنا. وثمارها السود مثل الأشواق فى قلوبنا الغضة. وها هى التكية مثل قلعة صغيرة تحدق بها الحديقة، بوابتها مغلقة عابسة، دائمًا مغلقة، والنوافذ مغلقة فالمبنى كله غارق فى البعد والانطواء والعزلة، تمتد أيدينا إلى سوره كما تمتد إلى القمر.

وأحيانا يلوح فى الحديقة ذو لحية مرسلة، وعباءة فضفاضة وطاقية مزركشة فنهتف كلنا.

يا درويش... إن شاء الله تعيش.

ولكنه يمضى متأملاً الأرض المعشوشبة، أو يتمهل عند جدول ماء، ثم لا يلبث أن يختفى وراء الباب الداخلى.

- من هولاء الرجال يا أبى ؟

- إنهم رجال الله -

ثم بنبرة ذات معنى:

- ملعون من يكدر صفوهم!

- ولكن قلبى مولع بالتوت وحده.

وينهكنى اللعب ذات يوم، فأجلس على الأرض لأستريح ثم أغفو.

أستيقظ فأجدنى وحيدًا فى الساحة حتى الشمس توارت وراء السور العتيق، ونسائم الربيع تهبط مشبعة بأنفاس الأصيل، علىَّ أن أمْرق من القبور إلى الحارة قبل أن يدلهم الظلام. وأنهض متوثبًا، ولكن إحساسًا خفيًا يساورنى بأننى غير وحيد، وأننى أهيم فى مجال جاذبية لطيف، وأن ثمة نظرة رحيبة تستقر على قلبى، فأنظر ناحية التكية، هناك تحت شجرة التوت الوسيطة يقف رجل درويش، ولكنه ليس كالدراويش الذين رأيت من قبل.

طاعن فى الكبر، مديد فى الطول، وجهه بحيرة من نور مشع، عباءته خضراء وعمامته الطويلة بيضاء، وفخامته فوق كل تصور وخيال، ومن شدة حملقتى فيه أثمل بنوره، فيملأ منظره الكون.

وخاطر طيب يقول لى إنه صاحب المكان وولى الأمر، وأنه ودود بخلاف الآخرين، اقترب من السور ثم أقول بابتهال:

ـ إنى أحب التوت...

فلم ينبس ولم يتحرك فأتوهم أنه لم يسمعنى، أكرر بصوت أعمق:

ـ إنى أحب التوت...

يخيل إلىَّ أنه يشملنى بنظره، وصوته الرخيم يقول:

ـ "بلبلى خون دلى خورد وكلى حاصل كرد".

ويخيل إلىَّ أنه رمى إلى بثمرة، فأنحنى نحو الأرض لألتقطها فلا أعثر على شىء، ثم أستقيم فأجد مكانه خاليًا، والظلمة تغشى الباب الداخلى.

وأقص القصة على أبى فيرمقنى بارتياب.

فأؤكدها له فيقول:

ـ تلك الأوصاف لا تكون إلا للشيخ الكبير، ولكنه لا يغادر خلوته!

فأحلف له على صدقى بكل مقدس فيسألنى:

ـ ترى ما معنى الرطانة التى حفظتها؟

ـ سمعتها مرارًا ضمن تراتيل التكية،

فيصمت أبى مليا ثم يقول:

ـ لا تخبر بذلك أحدًا.

ويبسط يديه ثم يتلو الصمدية.

وأهرع إلى الساحة فأتخلف وحدى بعد ذهاب الصبيان، أنتظر ظهور الشيخ فلا يظهر.

أهتف بصوتى الرفيع:

ـ "بلبلى خون دلى خورد وكلى حاصل كرد".

فلا يجيب. أعانى بلاء الانتظار وهو لا يرحم لهفتى.

وأتذكر الحادثة فى زمن متأخر، أتساءل عن حقيقتها، هل رأيت الشيخ حقًا، أو ادعيت ذلك استوهابا للأهمية ثم صدقت نفسى؟، هل توهمت مالا وجود له من أثر النوم، ولكثرة ما يقال فى بيتنا عن الشيخ الكبير؟ هكذا أفكر، وإلاَّ فلماذا لم يظهر الشيخ مرة أخرى؟ ولماذا يجمع الناس على أنه لا يغادر خلوته؟. هكذا خلقت أسطورة وهكذا بددتها. غير أن الرؤية المزعومة للشيخ قد استقرت فى أعماق نفسى كذكرى مفعمة بالعذوبة. كما أننى مازلت مولعًا بالتوت.



الحكاية رقم (٦)

على حصيرة واحدة نقعد صبيانًا وبنات فى الكتاب. نتلو الآيات بصوت واحد، ولا تفرق مقرعة سيدنا الشيخ بين قدم صبى وقدم بنت. وقت الغداء يتربع كل منا مستقبلاً الجدار بوجهه، يفك الصرة ويفرش منديله كاشفًا عن الرغيف والجبن والحلاوة الطحينية.

تسترق عيناى النظر إلى درويشة وهى تقرأ أو تأكل.

فى الطريق أتبعها حتى تميل إلى الزقاق المسدود، ثم أسير إلى بيتى حاملاً لوحى وصورتها.

وفى موسم القرافة أضيق بالمكوث فى الحوش، فأمرق إلى الخارج فنتلاقى أنا ودرويشة، بين القبور المكشوفة بلا تدبير.

وأشطر فطيرتى فأعطيها النصف، تأكل ونتبادل النظر.

ـ أين تلعبين ؟

ـ فى الزقاق.

هى تلعب فى الزقاق المتفرع من الحارة، وأنا أجرؤ على التسلل إليه فى النهار. يمنعنى إحساس خفى ولكنه غير برىء. ونتواعد بالنظر، وبلا كلام ومع المساء أدخل الزقاق فأجدها واقفة على عتبة الباب، نقف شبحين صامتين يكتنفنا الذنب والظلام.

ـ نجلس؟

ولكنها لا تجيب.

أجلس على العتبة أشدها من يدها فتجلس أتزحزح حتى نتلاصق.

يغمرنى شعور بسرور غريب ذى أسرار. أمد يدى إلى ذقنها فأدير وجهها إلَىَّ، أميل نحوها فأقبلها. أحيط خاصرتها بذراعى، أصمت وأهيم وأذوب فى دفقة إحساس مبهمة، فأعرف السكر قبل الخمر.

وننسى الوقت والخوف.

وننسى الأهل والحارة.

حتى الأشباح لا تفرقنا.



الحكاية رقم (١١)

نقف في فناء المدرسة الابتدائية جماعات ننتظر نتيجة القبول. أنهينا مرحلة الكتاب، وأدينا امتحان القبول، وها نحن ننتظر إعلان النتيجة.

ويخرج ضابط المدرسة من حجرة الناظر، ويمضي في تلاوة الأسماء من كشف بيده ثم يقول:

ليبق منكم من سمع اسمه وليرجع الآخرون إلى بيوتهم.

لم أسمع اسمي، تشيع في نفسي فرحة شاملة، أعتقد أن سقوطي هو نهاية علاقتي بالتعليم وعصي المدرسين، وأنني سأستقبل من الآن فصاعدًا حياة ناعمة خالية من الكدر.

ويسألني أبي عن النتيجة فأجيبه بارتياح:

ـ سقطت ورجعت إلى البيت.

ـ أخص، تصورتك أفضل مما أنت،

فأقول بسرور:

ـ لا يهم!

ـ لا يهم؟

إنى أكره الكتّاب، وأكره سيدنا الشيخ، وأكره الدروس فالحمد لله على أننى تخلصت من ذلك كله.

فيقطب أبى متسائلاً:

ـ أتظن أنك ستمكث فى البيت؟

ـ نعم، هذا أفضل.

ـ لتلعب مع الأوباش فى الحارة، أليس كذلك؟

فنظرت إليه بقلق فقال بحزم:

ـ سترجع إلى الكتاب عامًا آخر، والفلقة كفيلة بمعالجة غبائك،

وأهم بالاحتجاج فيقول:

ـ استعد لعمر طويل من التعليم، ستتعلم مرحلة بعد مرحلة حتى تصير رجلاً محترمًا.

ولم أنعم بفرحة السقوط إلا ساعات!



الحكاية رقم (١٣)

مهذب ذكى العينين، قصير القامة فى مطلع الشباب قيل لى :

ـ ابن عمك صبرى .

أعرف أباه – عمى – معرفة سطحية، فهو لا يبرح الريف إلا نادرًا.

أما صبرى فإنه يرى القاهرة لأول مرة، وأعرف أيضًا من أحاديث الليل، أن عمى أرسله إلى القاهرة ليلتحق بإحدى مدارسها الثانوية، بعد أن ترامت أنباء نشاطه الثورى فى موطنه إلى مراكز الأمن.

ـ أسأله وأنا أرمقه بشغف:

أنت من شبان المظاهرات ويحيا سعد؟

فيبتسم ولا يجيب... إنه يبدو أعمق من سنه .

ويقول له أبى:

ـ هذا بيتك، وأنت الآن آمن، ولكن كن على حذر.

وأقول لأبى : ولكنك يا بابا أضربت مع الموظفين ؟

فينهرنى :

ـ لا تتدخل فيما لا يعنيك،

ويمارس صبرى حياة تلميذ مجتهد ذى طاقة كبيرة فى العمل، غير أن القلق يلوح فى عينيه الذكيتين، ذات مساء فأسأله عما يقلقه،

فيسأل بحذر :

ـ ماذا دعاك إلى السؤال ؟

ـ لست كعادتك

فيدعونى إلى المشى فى الحارة، نتسكع فى الحارة وفى ميدان بيت القاضى حتى يهبط الليل، ويهمس فى أذنى :

ـ تستطيع ولا شك أن تحمل ورقة إلى هذا أو ذاك من الناس ؟

ـ ولكن لماذا أفعل ذلك ؟

ـ لا تفعله إذا كان يضايقك

وأوافق ليعهد إلى بمهمة أيًا تكن.

وأمضى لأوزع أوراقًا على أصحاب الحوانيت والمارة ويتناولونها بدهشة، يلقون عليها نظرة سريعة، يبتسمون ثم يواصلون العمل أو المشى.

وأرجع إليه عند رأس الحارة فيسألنى:

ـ مبسوط ؟

أعرب له عن سرورى الذى لا حد له فيقول محذرًا:

ـ إياك أن تخبر عمى أو امرأة عمى.

ولا أعلم أننى كنت أوزع منشورات سياسية، إلاَّ بعد مرور فترة غير قصيرة.



الحكاية رقم (١٥)

ويزور أبى جماعة من الأصدقاء فيدور الحديث عن الثورة، لا حديث هذه الأيام إلا عن الثورة، حتى حديثنا نحن الغلمان يرطن بلغة الثورة، ولعبنا فى الحارة مظاهرات وهتافات، وتصبح دوريات الإنجليز منظرًا مألوفًا لدينا، نمعن فى الجنود النظر بذهول، ونقارن بين ما نسمع عن وحشيتهم، وما نرى من جمال وجوههم وأناقتهم ونتعجب.

يدور الحديث بين الزوار عن الثورة .

ـ من يصدق هذا كله أو بعضه ؟!

ـ إنه الله الرحمن الرحيم

ـ يخلق الحى من الميت

ـ الفلاحون والعمال والطلبة والموظفون والنساء يقتلون ويقتلون.

ـ الفلاح يحمل السلاح ويتحدى الإمبراطورية،

ـ انقطعت المواصلات تمامًا، وأصبحت مصر دويلات مستقلة !

ـ والمذابح ؟

ـ مذبحة الأزهر

ـ مذبحة أسيوط

ـ العزيزية والبدرشين

ـ الحسينية

ـ لا أنا ولا أنت، ليحيا سعد !

ـ أى والله ليحيا الساحر العظيم

ـ ولكن الأموات يفوقون الحصر

ـ أحياء عند ربهم

وينبرى رجل ليقص سيرة سعد كما يعرفها، ومواقفه مع الإنجليز والخديو قبل الثورة

وألمح أبى تغرورق عيناه بالدموع.

أراقبه بذهول محتقنًا بانفعال صامت، وفيض من الدموع ينهمر على خدى.



الحكاية رقم (١٧)

استيقظت ذات صباح فأجد فى بيتنا امرأة وفتاة.

وتقول أمى :

ـ تعال سلم على عمتك وبنت عمتك سعاد.

أسلم بحياء من يراهما لأول مرة، المرأة تشبه أبى حقًا، الفتاة غاية فى الجمال.

وتسألنى عمتى :

فى أى سنة دراسية يا حبيبى ؟

ـ الثانية الابتدائية

وأفتن بالفتاة فتلمؤنى بسحر لطيف وأحلام عذبة.

وأعرف أن عمتى جاءت مع ابنتها من المنيا لتجهزها وأن زفافها وشيك، وتشغل أيامها المعدودة بالقاهرة بالتردد مع أبى على محال الأثاث والنجارين والمنجدين.

وفى أوقات الراحة تتبدى سعاد فى ثوب أنيق وزينة جذابة، تتألق بألوان العرائس وتعبق بشذاهن.

واختلس منها النظرات بقلب حنَّان وشوق غامض.

وتقول لى وهى تنظر إلى الحارة من خصاص النافذة:

ـ حارتكم مسلية جدًّا.

ـ تعالى أفرجك على أزقتها والقبور والتكية

تتجاهل دعوتى، تتسلل نظراتى إلى عنقها وأسفل ساقيها، أتوقف إلى تلاق غامض وإشباع مبهم ومغامرة مجهولة، أريد أن ألمس خدها المتورد، لا أريد أن أصدق أنها سترحل بعد أيام، وأن قلبى لن يجد من يؤنسه.

واستجمع شجاعتى وأقول :

ـ أتعرفين

ـ وينقطع الصوت والتفكير فتتساءل هى بنبرة محرضة على مواصلة الحديث :

ـ أتعرفين ؟

ألوذ بالصمت فتسألنى :

ـ لماذا تنظر إلىَّ هكذا ؟

ـ أنا ؟!

ـ نعم، رأيتك، لا تنكر

وتضحك ضحكة قصيرة ثم تقول :

ـ أنت ولد شقى

وينقبض قلبى من الشعور بالذنب.

وأرى أمى وعمتى ذات يوم وهما تتناوبان النظر فى صورة فوتوغرافية لسعاد، وتقول عمتى :

ـ وأصر العريس على رؤية الصورة

ـ وأبوها وافق ؟

ـ يعنى

ويترامى إلينا صوت أبى من حجرته :

ـ تصرف غير لائق !

فتقول أمى :

ـ الزمان غير الزمان !

وتقول عمتى :

ـ ما هى إلاَّ صورة، والعريس لقطة وابن ناس.

فيقول أبى بنبرة لا تخلو من احتجاج :

ـ على خيرة الله .

أتابع الحديث بحزن خفى، تطالعنى من ثناياه نذر الفراق الأبدى ووجه الكآبة فى الأفق .

وتمر أيام الزيارة بسرعة فائقة وأنا عاجز عن إيقافها.

وتجيء لحظة الوداع

وأرنو إلى خد سعاد المورد كرغيف خارج لتوه من الفَرن.

وتذهب الأسرة كما ذهب آل بشير من قبل، وتضحك أمي من لوعتي دون أن تفطن إلى عمق أشجاني.



الحكاية رقم (١٨)

الفرحة ترقص فى القلوب والنشوة تشتعل فى النفوس، يوم عودة سعد.

أبى يرجع من الخارج كأنما هو راجع من خناقة، زر طربوشه مفقود، عقدة رباط عنقه غائصة فى ثنية الياقة، جاكتته تنضح بالعرق والتراب، صوته مبحوح كأنه سعل دهرًا، ولكن عينيه تتألقان بنور ظافر، يستلقى على الكنبة ويقول :

هتفت حتى ضاع صوتى، نسيت نفسى تمامًا.

ثم بارتياح عميق :

تجمعت الدنيا كلها فى ميدان السيدة، سبحانك يا ربى ما أكثر عبادك !

ويجتاح الحارة إحساس غامر بالنصر، ويعتقد كل قلب أن الحرية تدق الأبواب، وتطبق المظاهرات على حينا لا تريد أن تنتهى، سعد... سعد.. يحيا سعد.. وتلهب حرارة الهتافات خيالى، وآسف على أن المظاهرات لا تدخل حارتنا شبه المسدودة، التى لا مخرج لها من طرفها الآخر إلا الممر الضيق المحاذى للتكية والمفضى إلى القرافة .

وأسأل أمى :

ـ سيرحل الإنجليز ؟

فتجيبنى بيقين :

ـ إلى غير رجعة.

وفى الليل، تحتفل حارتنا بعودة الزعيم احتفالاً خاصًا، تضاء الكلوبات فى هامات الدكاكين، ترتفع الأعلام، تدوى الزغاريد، وتتطوع العالمة ألماظية بإحياء الليلة، تقيم سدتها فى الوسط أمام الوكالة يحف بها تختها، ترص الكراسى أمامها، وعلى أنغام العود والقانون والناى والرق يرقص الرجال، وتغنى هى :

ليالى الأنس عادت بالليالى

وتغنى أيضا :

"يا بلح " زغلول " يا حليوة يا بلح،

وتختم بأغنية ضاحكة مطلعها :

"يا واد يا أللنبى كان جرى لك إيه يابن المره

جه الاستقلال غصبا عنك وعن انجلتره"

وتكتظ البوظة بالسكارى وتشتعل الغرز بنيران المجامر، وحتى المجاذيب والمتشردون واللصوص يسهرون ويفرحون، يشارك عم طلبة أبو الشهيد فى الحفل، والشيخ لبيب يحضره .

وأسهر أنا فى النافذة، وقوى مجهولة تشحن قلبى الصغير بحيوية سحرية .



الحكاية رقم (١٩)

أبى ينظر إلىَّ نظرة غامضة ويسألنى :

ـ ماذا فعلت ؟

فأجيبه بسرور وزهو :

ـ اشتركت فى المظاهرة الكبرى

ـ كان يمكن أن تدوسك الأقدام

ـ كان الصغار كثيرين

ويدارى أبى ابتسامة ويسألنى بنبرة ممتحن :

ـ الآن سعد زغلول هو رئيس الوزراء فلم تضربون ؟

ـ أضربنا لتأييده فى موقفه ضد الملك

ـ من قال لك ذلك ؟

ـ رئيس الطلبة، قال إن سعد زغلول قدم استقالته احتجاجًا على موقف الملك من الدستور، وإننا ذاهبون لتأييد الزعيم .

ـ هل عرفت وجه الخلاف بين سعد والملك ؟

وأتوقف عن الاسترسال مرتبكًا فيضحك أبى ولكنى أبادره :

ـ نحن مع سعد وضد الملك !

ـ عظيم، وماذا كان هتافكم فى عابدين ؟

ـ سعد أو الثورة

ـ ما معنى ذلك ؟

وأتفكر قليلا ثم أقول :

ـ معناه واضح، سعد أو الثورة

وهو يبتسم :

ـ عظيم، ومن الذى انتصر ؟

ـ سعد، وهتفنا : عاش الملك ويحيا سعد

ثم أقول بحماس :

الاشتراك فى المظاهرة أمتع من أى شىء فى الدنيا .

فيبتسم أبى ويقول :

ـ بشرط ألاَّ يشترك فيها الإنجليز !



٩٠ شمعة فى حياة نجيب محفوظ *

فى شارع النيل، وفى المبنى التالى لمستشفى الشرطة، يلفت نظر المارة بالطريق هذه الشقة فى الدور الأول، التى أحاطتها النباتات الخضراء من كل جانب، فبدت خصوصيتها حتى لمن لا يعرف شخصية ساكنها.

هذه هى شقة الكاتب الكبير - صاحب نوبل - نجيب محفوظ، والتى يقطنها منذ أكثر من أربعين عامًا، لم يفكر يومًا فى أن يغير مكان سكنه، رغم ضيقه بهذا الضجيج الذى يسببه الزحام حول (محل الساندوتشات)، الكائن فى الطرف الآخر للعقار نفسه.

(*) الأهرام فى ٢١/ ١٢/ ٢٠٠١.

شيء واحد تغير في المكان، هو وجود حراسة دائمة، بعد تعرض نجيب محفوظ لمحاولة الاعتداء عليه في أكتوبر ١٩٩٤ .

والزائر لبيت نجيب محفوظ يحظى بالترحيب، متى وطأت قدماه مدخل (العمارة)، حيث يبادر الحارس بتحيتك، ويقودك إلى باب شقة نجيب محفوظ، (عادة ما يكون الحارس على علم باسم الزائر وموعد الزيارة مسبقا).

لقينا نجيب محفوظ كما عودنا، بشوشًا، مرحبًا، تتابع كلمات ترحيبه : أهلا وسهلا، مرحبًا، اتفضلوا، أهلاً وسهلاً.

صحيح أن السنوات سرقت بعض تألق ملامح الكاتب العملاق، وصحيح أن الوهن ترك بصمته على صوته الذى ألفناه جهوريًا، وصحيح أن الجسم ازداد نحولاً والبصر ازداد ضعفًا، والسمع قلَّت حساسيته، لكنه لازال متوقد الذهن، حاضر النكتة، مجلجل الضحكة، سريع البديهة، في ثيابه المنزلية جلس إلينا.

البيجامة الزرقاء الفاتحة والروب الحريرى الأزرق الغامق، بنقوشه الحمراء المتباعدة مع الخف المنزلى، أطلق محفوظ الجزء الأمامى من لحيته ليتحاشى مرور شفرات الحلاقة على بشرة وجهه، فبدت على ملامحه سمة جديدة غير مألوفة خصوصًا وقد طغت هذه اللحية على ظهور (الحسنة)، الداكنة البارزة على يسار أنفه.

البيت كما رأيته أول مرة منذ أكثر من خمسة عشر عامًا، أنيقًا في غير مغالاة، مريحًا دون افتعال، تعطيك الألوان الهادئة للجدران والمقاعد

إحساسًا بالحميمية، صاحب البيت لا يغير مقعده، عن يمينه المصباح الكبير الذى يحمله تمثال (بوذى)، أبيض اللون، آنية فضية ذات غطاء يشير إليها نجيب محفوظ داعيًا ضيوفه لتناول بعض المكسرات المملحة، وآنية أخرى أكبر حجمًا تملؤها قطع (الشيكولاتة) تحتل مكانها فوق منضدة فى الجانب الآخر من الحجرة.

شيئان غابا عن جلسة نجيب محفوظ، السيجارة التى كانت تسكن ما بين وسطاه وسبابته، وفنجان القهوة القابع أمامه ينتظر أن يأخذ منه رشفتين، فقط رشفتين يأخذهما نجيب محفوظ ثم يترك باقى الفنجان ويضحك نجيب محفوظ ويقول :

ـ أوامر الطبيب، حكم القوى.

سألته عن مسودات بعض أعماله.

ضحك من قلبه وقال:

لم أكن أحسب أن لها قيمة، أولاً بأول كانت تروح (الزبالة)، لو كنت احتفظت بالمسودات وبالدراسات الشخصية لكل أبطال أعمالى كنت أحتاج بيتًا آخر أحفظها فيه، وكان سيدر على ثروة هائلة.

منذ حصولى على جائزة نوبل، والجميع يسألوننى عن هذه المسودات، ويعرضون فى مقابلها أثمانًا عالية، لكن، ليس فى حوزتى أى ورقة قديمة.

سألت نجيب محفوظ عن رأيه فى الأحداث العالمية الأخيرة: هل يتابعها وكيف؟*

---

* أقصد هنا أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١

قال : أنا أتابع أحداث العالم - الداخلية والخارجية - من مصدرين.. الحاج صبرى السيد، وأصدقائى. يحضر الحاج صبرى السيد إلى منزلى كل صباح، ويقرأ لى عناوين الصحف، ومعها بعض المقالات المهمة، أو أجزاء منها وأنا أعتمد عليه كثيرًا، مع طول المدة بدأ يعرف الموضوعات التى تهمنى فيلخصها لى، (راجل أمير قوى).

أما المصدر الثانى لمعلوماتى الآن فهم أصدقائى، ألقاهم مرة أو مرتين كل أسبوع فيحدثوننى عن أخبار العالم، ومن خلالهم أعرف أخبار الدنيا.

وكيف يمضى بك الوقت ؟

- فى التأمل، حتى التليفزيون لم أعد أتابعه، فأنا لا أرى الصورة، ولا أسمع الكلام.

ويمسح نجيب محفوظ جبهته بكفه اليسرى ويقول: لقد رأيت وسمعت كثيرًا فى حياتى.

قلت للأديب العربى الكبير:

فى روايتك رحلة ابن فطومة والتى نشرت فى عام (١٩٨٣)، طاف بطلك عبر الحضارات والأفكار والمذاهب السياسية المختلفة، باحثًا عن المدينة الفاضلة، فزار المجتمع البشرى فى فجر حضارته، ومضى حتى الدولة الشيوعية، لكن البطل لم يصل إلى الجنة المنشودة، فهل وصل الرقى الاجتماعى بالعالم إلى هذا (الحلم)، أو اقترب منه ؟

ضحك نجيب محفوظ من قلبه، وقال: أنا كنت متفائلا، الإنسانية الآن على مشارف الجحيم.

على ضوء الأحداث الأخيرة، كيف ترى الموقف العالمى ؟

الموقف يحتاج إلى حكمة العقلاء، وإلا انفجرت الأرض بمن عليها.

ما حدث كان شيئًا فظيعًا وغير إنسانى، وهو نتيجة حتمية لشعور البعض بالظلم والإحباط، وهذا أسوأ شعور يحسه الإنسان، وقد يدفعه للانتحار أو للرغبة فى التدمير، كان ما حدث شيئًا مرّوعًا، أنا لم أصدقه فى أول الأمر، وعندما وصفته ابنتى لى ظننتها تحكى عن أفلام، أو عن تخيلات لكننى اكتشفت للأسف أنه صحيح، الموقف الآن لابد أن يكون فى يد الحكماء العقلاء، فنحن سكان كوكب واحد.

وأحسست بنبرات صوت نجيب محفوظ تزداد اضطرابًا، شعرت بانفعالاته الداخلية التى تعود أن يكتمها فى نفسه، لكن، ها هى بحة صوته وارتعاشة كلماته تنم عن عمقها.

وكان لابد أن نغير الموضوع، تعمدت أن أترك فترة صمت يلتقط فيها (محفوظ) أنفاسه، تستعيد فيها أفكاره هدوءها، وسريعًا قفزت الفكرة إلى ذهنى.

نعود إلى الماضى الجميل قلت له:

فى عام ١٩٩٤ نشرت مجموعة الخواطر والتأملات تحت عنوان (أصداء السيرة الذاتية) ونحن نعلم أنك لم تكتب سيرتك الذاتية، فهل هناك (سيرة) لم تنشر بعد؟

اتسعت ابتسامة نجيب محفوظ وقال :

هناك أكثر من كِتَاب حكيت لمؤلفيها كل ما أذكره من سيرتى الذاتية، كما أننى أدليت بآلاف الأحاديث الصحفية العربية والأجنبية، إلى جانب الأحاديث الإذاعية والتليفزيونية، ولم يعد هناك ما لم أقله ـ كل حاجة بقيت معروفة ـ وأصداء السيرة الذاتية كانت خواطر فلسفية، أو سمها ما شئت (أهو كلام)، ولا أخفى عنك سعادتى بالحفاوة التى قوبلت بها كتاباتى، وما كنت أظنها جديرة بكل هذا.

يلمحك القارئ ـ بدرجة أو بأخرى ـ فى كل ما تكتب، رواياتك، قصصك، مقالاتك؟

قال نجيب محفوظ فى تأكيد:

هذا شيء طبيعى، فالكتابة هى صاحبها، لكن هذا لا يعتبر تأريخًا، وأنا لست مؤرخًا لا لنفسى ولا للأحداث الواقعية أو التاريخية.

تصنف (حكايات حارتنا) (١٩٧٥) على أنها رواية، مع أنها مكتوبة فى شكل حكايات مستقلة، ولكل حكاية رقم، فكيف تراها؟

أنا كتبتها رواية، لها فصول، والفصول حكايات، لكن كل حكاية يمكن اعتبارها عملاً متكاملاً.

قلت لنجيب محفوظ :

تحدثت فى هذه الحكايات عن طفولتك، وعن حى الجمالية، هذا الحى الذى عشقته صبيًا وفتى وكاتبًا، كما دخلنا معك حارة بيت القاضى وحارة الكبابجى، وغيرها؟

قال :

هذه طفولتى، كتبتها من وجهة نظر فنية، فيها خيال وفن، وهى كذلك طفولة الآخرين، هى واقع مع خيال.

كتبت عن ثورة ١٩١٩ من خلال الحارة؟

أنا لا أؤرخ لثورة ١٩، هذا ليس عملى، والحارة نموذج للمجتمع.

هل كان للحارة القديمة أثر فى شكل الحياة السياسية الشعبية ؟

هذا صحيح، لأن الحارة كانت مجتمعًا واحدًا، كان هذا المجتمع قوة مؤثرة فى الحياة العامة، لكن عزلة الفرد الآن وغياب المجتمع السكانى الواحد جعل الفرد سلبيًا، لم يعد له دور فى الحياة كما كان موجودًا من قبل، وانشغل الفرد بنفسه وبحياته ومشكلاته، الجار أصبح لا يعرف جاره طبعًا، كان للتخطيط العمرانى والبناء المعمارى والنمو السكانى أثر كبير فى تغيير شكل المجتمع، وفى تغير شكل العلاقات الإنسانية.

سألت نجيب محفوظ

ماذا تكتب لنا الآن غير أحلام فترة النقاهة ؟

- هذه الأحلام أكتبها كتمرين ليدى اليمنى كما نصحنى الطبيب، وهى سطور قليلة،

لكنها تسعدنا.

صحيح ؟؟

صحيح يا نجيب بك.

أنا سعيد بسماع هذا.

فى كتاب أمام العرش (حوار مع رجال مصر من مينا وحتى أنور السادات)، وهى محاكمة وهمية لعدد من حكام مصر على مر التاريخ، يقوم بالمحاكمة فيه (أوزوريس) رب العالم الآخر، وإلى جواره إيزيس وحورس، وكان نجيب محفوظ هو (أوزوريس) الذى يحاكم هؤلاء الذين رسموا تاريخ مصر، إما بإيجابياتهم أو بسلبياتهم، إما بإنجازاتهم أو بأخطائهم.

سألت نجيب محفوظ، هل تعتبر هذه المحاورة أو المحاكمة محاولة لعمل إسقاط من التاريخ على أحداث العصر الحديث ؟

كانت هذه مجرد تعريف، وعرض لما قدمه هؤلاء فقط، ليس هناك إسقاط ولا غيره، والقارئ حر فيما يفهم، البعض ردد حكاية الإسقاط، هم أحرار.

وهل كانت محاكمتك لرجال الوفد ورجال ثورة يوليو شهادة على العصر ؟

ـ هذا الرأى كذلك ردده كثيرون، وأنا لست مؤرخًا ولا شاهدًا على العصر، أنا أكتب ما يأتى لأفكارى (وبس).

هل هى كتابه فنية للتاريخ ؟

تقريبًا.

هل خضع انتقاؤك للشخصيات التى قمت بمحاكمتها لفلسفة خاصة ؟

اخترت فقط الأسماء المهمة.

كانت إيزيس تجلس إلى جوار أوزوريس، وكانت تمثل الجانب العاطفى فى المحاكمة لماذا ؟

كانت الواسطة إلى الجنة، وبهذا كانت تمثل دورها بين الآلهة المصرية.

هل هذه هى صورة المرأة عند نجيب محفوظ ؟

المرأة مخلوق رقيق وطيب وعاطفى، هى النصف الدافئ من الحياة، سألت نجيب محفوظ :

ماذا عن كتابك العائش فى الحقيقة، هل كان هناك هدف وراء كتابته ؟

أنا بدأت حياتى بالكتابة التاريخية، (عبث الأقدار)، (رادوبيس)، (كفاح طيبة)، ثم تركت الكتابة التاريخية، وكان كل اهتمامى بالكتابة الواقعية، وفى الثمانينيات عدت مرة أخرى للتاريخ.

هل كان التاريخ هو طريقك الأكثر أمانًا للحديث عما تريد ؟

صمت نجيب محفوظ طويلاً ثم قال:

وجدت الأجانب مهتمين جدا بإخناتون، ووجدت عنه عشرات الكتب، قرأتها ووجدت أن هناك اختلافًا شديدًا حول شخصيته،

وهناك تباين حاد فى الآراء حوله ووجدت حوله، أسماء عديدة، فوضعت هذه الآراء على لسان المحيطين به، وبهذا تحدثت عن إخناتون، وعن نفرتيتى وعن عصرهما الذى عاشا فيه.

وماذا عن نفرتيتى ؟

ـ كانت ملكة عظيمة لها دور كبير إلى جانب زوجها، وكان لها دور مؤثر بعد ذلك فى هدم أفكاره.

كان للملكات المصريات دور كبير فى الحياة، العامة والخاصة، لم يكنَّ بعيدات عن الحياة.

كيف ترى إخناتون؟ هل هو مصلح اجتماعى ودينى، أم سياسى فاشل أهمل واجباته السياسية والعسكرية ؟

قال نجيب محفوظ فى حماسة شديدة:

إخناتون كان مثل الأنبياء، كان مثاليًا ضحى بالحكم والملك، فى سبيل أفكار الحب والسلام، كان السلام والجمال والحب والتأمل هو رسالته فى الحياة.

كنا نتمنى أن يطول حوارنا مع أديب مصر الأول نجيب محفوظ لكنه التفت إلى وقال :

أنا تعبت.

أغلقت جهاز التسجيل وتركت الأوراق والقلم، ولما هممنا بمغادرة المكان بدأ يتحدث إلينا من جديد وكأنه يريد أن يستبقينا.

طلب منه الزميل عبد الوهاب السهيتى، أن نصور الأوسمة والشهادات والجوائز التى حصل عليها لكنه اعتذر بشدة:

لأ، مش ممكن. العملية دى صعبة قوى.

نريد فقط أن نصور شهادة نوبل مع الوسام، وجائزة الدولة التقديرية ووسام العلوم والفنون.

ولما طلبنا وساطة السيدة عطية الله حرم نجيب محفوظ.

قالت : فقدت مفتاح الدولاب الخاص بالأوسمة.

ثم وعدت بالبحث عنه.

كان لابد أن نودع نجيب محفوظ إشفاقًا عليه من إرهاق الحوار، قام الرجل ليودعنا عند الباب الخارجى، ولم تغرب عن وجهه الابتسامة العذبة، ولم تتوقف كلماته الودود:

مع السلامة شرفتونا، اسعدتونا مع السلامة مع السلامة.



أديب نوبل يتصفح النسخة الأولى من كتاب (نجيب محفوظ أمير الرواية العربية)
ويظهر فى الصورة من اليمين الشاعر أحمد الشهاوى و المؤلفة ونجيب محفوظ
والناشر محمد رشاد ثم الشاعر أحمد سويلم



نجيب محفوظ يسأل المؤلفة عن سعر بيع الكتاب



نجيب محفوظ ٨٥ عامًا *

عندما فتح لنا باب شقته بنفسه، لقينا بالابتسامة نفسها، هذه الابتسامة التى أوحشتنا منذ انقطع نجيب محفوظ عن الحضور إلى الأهرام، بعد حادث الاعتداء عليه منذ عامين.

تتابعت كلماته التقليدية الجميلة ترحب بنا، تذكرنا بأصالة ابن البلد،

يا ألف مرحب، أهلاً وسهلاً، اتفضلوا، اتفضلوا، إزاى الصحة، أهلاً.

ولأن الحوار بيننا وبين نجيب محفوظ موصول لا ينقطع، فقد بدأنا

* الأهرام فى نوفمبر ١٩٩٦

حديثنا وكأننا كنا معه بالأمس، لم نكن فى حاجة إلى مقدمات أو تعريفات قلت له: كل سنة وأنت طيب وعقبال ميت سنة، صحيح أننا نقدم التهنئة مبكرًا عدة أيام إلا أنها ضرورة العمل.

وتتسع ابتسامته وتتشابك أصابع كفيه، ويبتلع الخجل بعضًا من صوته ويتمتم، وأنتم طيبون وبخير.

وكان حوارًا طويلا من خلال ضحكاته قال نجيب محفوظ:

- قبل المدرسة الابتدائية كنا نذهب إلى المدرسة التمهيدى أو الكتاب، وكنت أضيق أيامها بهذه القيود وأتمنى لو أقضى نهارى فى اللعب.

وتتخلل الضحكة جملة الحديث فتقطعها وهو يضيف.

كنت أحب اللعب على سطح البيت مع الفراخ، لكن الوضع تغير بعد أن انتقلنا إلى حى العباسية، ودخلت المدرسة الابتدائية، وكنت ألتقى مع زملائى وأصدقائى فى المقاهى، فى هذه الفترة بدأت أحب التعليم وتفوقت فيه، وبدأت قراءاتى الحرة وتعلقت بالثقافة، وتنبهت لأسماء الكتاب مثل المنفلوطى، وفى هذه الفترة بدأت جذورى تتكون.

هل كنت تتخير ما تقرأ من بين مؤلفات هؤلاء ؟

كنت أقرأ كل ما يصدر، كانت حاجات قليلة ونادرة، كتاب كل سنة أو سنتين لكل كاتب، واستطاع هؤلاء الكتاب تحويل اهتمامى ناحية (الفكر)، وشعرت أننى أريد أن أكتب.

قلت لنجيب محفوظ، لكنك اختلفت عن المنفلوطى والعقاد وطه حسين والمازنى، فلم تكتب مقالات نقدية أو فكرية، لكنك وضعت آراءك فى قالب روائى متطور عن النماذج الروائية الموجودة وقتها؟

بدأت فى نهاية المرحلة الثانوية أكتب مقالات فكرية ونقدية لمجلة (المجلة الجديدة)، و(المعرفة) و(الحديث)، وفى الوقت نفسه كتبت الرواية، وكنت أنشر المقالات وأحتفظ بالروايات.

ألم تجمع هذه المقالات ؟

هذه المقالات فات وقتها، وظهرت مدارس فلسفية ومؤلفات حديثة، ولم يعد لما كتبت قيمة كبيرة .

ألم تكن هذه مقدمات لظهور مفكر أكثر منه روائى ؟

أجاب نجيب محفوظ : كانت هذه هى الأزمة التى عشتها فى نهاية مرحلتى الجامعية، وكنت فى حيرة: أين أنا؟ هل أنا مع الأدب وله؟ أم للفلسفة ومعها؟ وكيف أجمع بينهما؟ وبدأت أسأل نفسى: كيف أصبح موظفا وأديبًا ومفكرًا؟ وكان لابد أن أحسم هذه المشكلة. واخترت الآداب وكتابة الرواية بالذات.

ولماذا إذن اخترت دراسة الفلسفة ؟

لم تكن الرؤية واضحة وقتها، سألت أين أدرس هذا الذى أقرأه فى كتب ومقالات (الرواد)، فقيل لى فى قسم الفلسفة بكلية الآداب، وبالفعل أعطتنى هذه الدراسة فرصة طيبة للتعرف على الفكر الإنسانى.

وهنا يظهر مقص المونتير نجيب محفوظ ويقول : إلا أننى كنت أتمنى أن أدرس فى قسم اللغة العربية، أو الأدب الإنجليزى، وأن تكون دراسة الفلسفة فى الخلفية فى شكل ثقافة عامة. كنت أتمنى أن أعكس الحال، فأدرس الآداب وأنمى هوايتى فى قراءة الفلسفة، لكن هذا ما حدث، ربما لم أكن قد تبينت طريقى بوضوح. أيامها كنت أكتب القصص القصيرة، ونشرتها، أما الروايات فقد احتفظت بها.

وماذا كان مصير هذه الروايات ؟

كنت أعرض رواياتى الأولى على سلامة موسى، وكان من رأيه أنها غير جديرة بالنشر إلى أن أقتنع برواية (عبث الأقدار) ونشرها فى عام (١٩٣٩)، أما الروايات السابقة فقد أعدمتها.

ويضحك نجيب محفوظ وهو يقول : من الطريف أن هذه الرواية الأولى عبث الأقدار ظهرت يوم هجوم هتلر على بولندا، وكان هذا بداية قيام الحرب العالمية الثانية، فهل هذا من (عبث الأقدار).

لابد أنك تأثرت بأساتذة الفلسفة المصريين والأجانب الذين تتلمذت على أيديهم فى الجامعة، فمن منهم ترك بصمة واضحة على فكرك وإبداعك؟

ـ من غير شك أن الشيخ مصطفى عبد الرازق كان أهم الذين تركوا بصمة واضحة فى عقلى وتفكيرى، فقد كان خير مرب للعقل، فضلاً عن كونه رمزًا للنبل الإنسانى، وكان نموذجًا فريدًا للانفتاح على الثقافات العالمية، والمزج الموضوعى بين التراث الإسلامى والفكر الغربى.

بعد تخرجك فى الجامعة اتجهت إلى الوظيفة؟

لم يكن هناك خيار، لابد من الوظيفة، وكان الخيار فيها فقط بين وظيفتين، إما العمل بالتدريس أو العمل ككاتب بإدارة الجامعة، ووجدت أن العمل فى الوظيفة الكتابية بالجامعة هو الذى سيعطى لى فرصة لممارسة هوايتى الأساسية، وهى كتابة القصة والرواية .

ولأنى كنت فى هذا الوقت على يقين من أن عملى الأساسى هو الكتابة، وأن الوظيفة ليست إلاَّ (أكل عيش) وتأمين لحياتى، فاخترت الوظيفة التى لا تعطلنى عن هذا العمل الأساسى، وبدأت أنظم حياتى على هذا الأساس، رغم أن الرواية لم تكن فنًا معروفًا ولها من يحترفها فى مصر، وكانت تأتى على هامش اهتمامات الكتاب والمفكرين، فمثلاً كتب العقاد (سارة) وكتب طه حسين (الأيام) ولم يظهر الكاتب الفنان المحترف حتى هذا الوقت. وفى وقت راحتى من عملى الحكومى، كنت أمارس عملى الأساسى وهو الرواية، وقسمت هذا الوقت قسمين، ثلاث ساعات للكتابة وثلاث ساعات للقراءة .

وكان هذا الاختيار حتميًا، ليس له بديل، لأننى كنت فى حاجة إلى راتبى لأعيش، وليس لى مورد آخر، ولما انتظمت حياتى واستقرت أمورى بدأت أكتب الرواية، أكتب، (أبيض) وأعرض على الناشرين، فيرفضون، وأضعها فى الدرج فوق سابقتها، وأسلى نفسى بكتابة القصة القصيرة.

ولما أنشأ المرحوم عبد الحميد السحار وسعيد السحار لجنة النشر للجامعيين سنة ١٩٤٣، بدأت أنشر هذا المخزون.

وسألت نجيب محفوظ : هل سارت رحلة نشر أعمالك كما كنت تتمنى ؟

فقال :

لو كان هناك ناشر اقتنع بكتاباتى لنشرت منذ عام ١٩٤٠، كلهم رفضوا أن ينشروا رواياتى، ومن الغريب أننى حصلت وقتها على جوائز، منها مثلاً جائزة قوت القلوب الدمرداشية للرواية، وكانت عن رواية "رادوبيس" مناصفة بينى وبين أحمد باكثير، وكانت قيمتها أربعين جنيهًا، وكان حصولى على عشرين جنيهًا يومها حدثًا كبيرًا، لأن راتب مدير الإدارة وقتها كان لا يصل إلى هذا المبلغ .

كما حصلت بعدها على جائزة مجمع اللغة العربية، عن رواية "خان الخليلى"، قبل أن تصدر مطبوعة، وكانت الجوائز يومها لها قيمة كبيرة، من الناحية المادية ومن الناحية النفسية على المؤلف، فقد تأكدت من أن هذه الأوراق المتراكمة فى مكتبى لها قيمة، ومن الذى يعترف بقيمتها، أساتذة كبار وأعضاء فى مجمع اللغة، وطبعا لم تكن هناك وساطة ولا محسوبية، لأننا كنا كتابًا مجهولين.

قلت للروائى الكبير نجيب محفوظ :

بالتأكيد كان لهذه الجوائز تأثير فى استمرارك فى الكتابة؟ قال :

لا، أنا لم أكن أهتم بالنشر ولا بالجوائز وكنت ماشى (زى وابور الزلط).

وتعلو قهقهة نجيب محفوظ، فأقول له :

ومهدت لنا الطريق.

وتطول ضحكة نجيب محفوظ ويضيف : فى عام ١٩٤٧ كتبت زقاق المدق، وكانت جديدة وأعتبرها نقطة مهمة فى حياتى.

ما دور الحركة النقدية فى مسيرة الكتابة عند محفوظ ؟

لم يكن أحد "يعبرنا"، صحيح أول من كتب عنى كان المرحوم سيد قطب حوالى ٤٤ ـ ١٩٤٥، فى حين بدأت النشر منذ عام ١٩٣٨، وبعده كتب عنى أنور المعداوى، وكان هذا أمرًا طبيعيًا، لأن قطب والمعداوى كانا شابين يحملان فكرًا جديدًا، ومن الطبيعى أن يهتما بشاب مثلهما وعنده شىء جديد، وكانت أول لفتة اهتمام بأحد من غير الكتاب الكبار المعروفين.

وبعد ١٩٤٨ بدأت أكتب بين القصرين، وانتهيت منها قبل قيام الثورة بمدة بسيطة، وتعذر طبعها بسبب ضخامة حجمها، وعرض على يوسف السباعى أن يساعدنى على نشرها فى إحدى المجلات، لكن الثورة قامت قبل بدء النشر، فاحتفظ بها يوسف السباعى ونشرها فى مجلة السياسة الجديدة، وهى المجلة التى أصدرتها حكومة الثورة وقتها، ونشرت بين القصرين مسلسلة فى الأعداد الأولى منها، وكان نجاحها مشجعًا، لسعيد السحار على أن يطبعها، واقترح على تقسيمها إلى ثلاثة أجزاء ليسهل طبعها وبيعها، فقسمتها حسب الفترات التاريخية وأسميتها (بين القصرين) و (قصر الشوق) و(السكرية)، أما اسمها الأول فكان (قصر الشوق) فقط.

سألت نجيب محفوظ :

فى عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن كان فى مصر عدد من التيارات الفكرية والأحزاب السياسية فإلى أيها كنت تنتمى ؟ قال

كان فى الساحة وقتها ثلاثة أحزاب رئيسية : الوفد، الأحرار الدستوريين، الحزب الوطنى. وأنا كنت مثل باقى أقرانى ومثل الأغلبية الساحقة من الشباب، كنت وفديًا.

هل كنت وفديًا إيجابيًا أم منتميًا إلى الوفد فقط ؟

كنت إيجابيًا لدرجة، ولكننى لم أشتغل بالسياسة فكنت أستجيب للنداءات، إضراب، مظاهرة، حضور اجتماعات، وسماع خطب، لكننى لم أمارس السياسة بمفهومها المعروف، لا فى هذه الفترة، ولا بعدها، لم أمارس السياسة فى حياتى .

هل لازلت وفديًا ؟

أجاب نجيب محفوظ : المسافة بين الوفد وبين الحزب الحاكم الحالى من حيث المبادئ لم تعد كبيرة، كلاهما يرفع شعار الديمقراطية كأهم أهدافه، وأنا مع الديمقراطية التى ينادى بها الوفد والحكومة معًا.

كان لابد أن أتوقف قليلاً فى حوارى مع نجيب محفوظ عند هذا التوقيت، خصوصًا ونحن ننتقل تاريخيًا بين عهدين، ما قبل الثورة، وما بعدها، كما ننتقل فى تاريخ نجيب محفوظ بين فترتين، فترة إنتاج غزير ومتدفق ومنتظم، ثم فترة صمت توقف القلم المبدع فيها عن

العطاء، وكف فيها الفكر عن الإفصاح، واختلفت التفسيرات حول هذا الانقطاع، لكنى لا أجتهد فى التفسير ولا أخِضع لتأثير تفسيرات الآخرين، وأترك لصاحب الأمر تفسير الظاهرة.

بعد قيام الثورة وجدت أن الرغبة فى الكتابة عندى ماتت، وكنت أفسرها بأن الثورة قد حققت آمالنا، وصححت ما كنا نكتب عنه من أخطاء، وأنها فى سبيل تحقيق ما ننشده من عدل ورخاء، وطالت مدة هذا الصمت لأكثر من خمس سنوات، وفى هذه السنوات انشغلت فى كتابة السيناريو بدلاً من كتابة الرواية، وكتبت سيناريو (عنتر وعبلة) و(المنتقم) و (لك يوم يا ظالم) و (ريا وسكينة).

كيف اتجهت للسيناريو ؟

طلب منى صلاح أبو سيف أن أكتب له سيناريو، وأنا لا أعرف ماذا يعنى، وشرح لى الفكرة وأعطانى بعض كتب، ووجدت فى هذا العمل عزاءً نفسيًا لى عن موت رغبتى فى الكتابة الروائية، وهناك صلة كبيرة بين العملين، فكلاهما إبداع وصنعة مثل معالجة الشخصيات وعمل الحبكة والحوار وغيرها.

هل كنت تتمنى ألاَّ تأتى هذه السنوات من التوقف عن الكتابة ؟

طبعًا كنت أتمنى ألاَّ تأتى خصوصًا أنه كان عندى موضوعات أود كتابتها، وعدت فى عام ١٩٥٧، وقد تغير مضمون ما أكتب وكذلك أسلوب الكتابة، عدت بأولاد حارتنا التى نشرتها الأهرام مسلسلة قبل أن تطبع فى كتاب.

ما تقييمك لأولاد حارتنا ؟

أولاد حارتنا عمل جيد. وأنا مقتنع به وراض عنه، وأعتقد اعتقادًا جازمًا " والله أعلم " أنه لا يتضمن مساسًا لا بالدين ولا بالله، ولم ترد فى ذهنى وأنا أكتبه أى من الأفكار التى فهمها البعض، وأنا لست ضد الدين ولا ضد الإسلام بالذات، والعمل الفنى يخضع لرؤية القراء وتفسيراتهم، وأنا غير مسئول عن التأويلات التى قدمها البعض، وقد يكون هناك (ناس يحبوا يوقعوا كمان،)، لكنى لا أحب ترديد كل ما أسمعه، وبعد (أولاد حارتنا) كانت فترة جديدة، كتبت اللص والكلاب، وثرثرة فوق النيل، والسمان والخريف، والطريق، والشحات، وميرامار.

المضمون السياسى واضح فى هذه الأعمال، فما الرسالة التى تريد توصيلها من خلال المعالجة الفنية لهذا المضمون؟ قال:

كانت هذه الأعمال تتضمن نقدًا ذاتيًا لمسيرة الثورة، على اعتبار أننى موافق على سياستها، ولكننى معترض على تأجيل الديمقراطية، لهذا لم يعترض عليها الجهاز الحاكم، وتسامح معى لاقتناعه بإيمانى بالثورة، وتأييدى لها وبأننى لست ضدها، وإننى فقط ضد الديكتاتورية والفساد، وكان النظام يرفع شعار محاربة الدكتاتورية والفساد، بل لقد تحول أغلب هذه الأعمال إلى سينما، على اعتبار أنه نقد ذاتى، وأنا لا أعادى النظام ولا أنتمى لأى تيار معاد، بل وأخذت كل الأوسمة والجوائز فى عهد عبد الناصر، الذى كنت انتقده فى أعمالى، فأخذت وسام الاستحقاق وجائزة الدولة التقديرية، ولابد أن نقر بحقيقة، هى

أنه لم تمنع ولم تصادر أى كلمة لى فى عهد عبد الناصر، ولا بعده، ولم أعاقب أبدًا على رأى لى، فملفى يخلو من أى ملاحظات أو مشكلات، ويعود الفضل فى عدم اصطدامى بالسلطة فى عهد عبد الناصر للدكتور ثروت عكاشة، ولمحمد حسنين هيكل، فكلاهما شخصية مستنيرة وتعرف قيمة الفن.

قلت لنجيب محفوظ، ما تقييمك لمسيرة الديمقراطية فى مصر منذ قيام ثورة يوليو، قال:

فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر تأجلت الذيمقراطية، وكانت هناك إنجازات رائعة فى مجالات أخرى مختلفة مثل الجلاء، والتأميم، والسد العالى، والتصنيع، والزراعة، وكانت هذه الإنجازات عزاء عن تأجيل الديمقراطية.

كيف يتسق هذا مع نشر كل ما كتبته من نقد ذاتى ـ على حد تعبيرك ـ للثورة مع وجود نماذج أخرى، مثل "الفتى مهران" لعبد الرحمن الشرقاوى و"شيء من الخوف" لثروت أباظة؟

أجاب : كان الجهاز الحاكم قويًا، فتسامح مع الفن والثقافة، ولم يكن ضعيفًا، وكان من الضرورى وجود متنفس، ولم يمارس الكبت إلا بعد يونيو ٦٧، وكان هذا لضرورات أمنية، أما الرئيس السادات فكان أهم إنجازاته هى العبور والاتجاه ناحية الديمقراطية والسلام، أما أكبر أخطائه فكان هذا الانفتاح العشوائى الذى زاد الفساد استفحالا.

وعصر مبارك ؟

فى عهد الرئيس مبارك تدعمت مسيرة الحرية، بلا شك، وحصلت الصحافة على قدر من الحرية لم تشهده فى العهدين السابقين، وأصبحت الديمقراطية حقيقة، وأعتقد أننا نسير فعلاً على طريق استكمالها، هناك تعدد أحزاب وبرلمان، وهذه خطوات جيدة على طريق الديمقراطية الكاملة.

سألت نجيب محفوظ :

ما رأيك فيما نعانى من مظاهر الفساد خصوصًا أن قضية محاربة الفساد كانت قضيتك الأولى فى بداية الثورة ؟ قال:

لا شك أن الفساد زاد كثيرًا، للأسف أنه استفحل فى مجتمعنا الحاضر، والسبب هو عدم الارتقاء بمستوى الموظف الحكومى، فقد ظهرت قطاعات كبيرة من الأغنياء، بعضهم من قمة المجتمع وبعضهم من قاعه، بينما لم يتحرك موقع الموظف، ولازال يعيش فى مستوى غير مرض، وهنا لابد أن يتفشى الفساد، ولن تنصلح الحال إلاَّ إذا أخذ الموظف الحكومى حقه فى أن يعيش حياة كريمة.

وفساد النظام الحكومى هو أساس أى فساد، فمن الذى يسهل للسارقين فرصة السرقة؟ ومن يسهل للمهملين فرصة الإهمال؟ ومن يسهم فى إهدار المال العام؟ طبعا العاملون بالجهاز الحكومى، ولا صلاح للأمر إلا بإصلاح حال الموظف.

كان لابد فى البداية أن ينظر إلى الموظف، وأن تتحسن حاله

بالتدريج، حتى يساير الطفرات التى تحدث فى المجتمع، والآن المشكلة أصبحت معقدة ومن الصعب تداركها، لأنه لا يمكن أن تزيد راتب الموظف عشرة أضعاف مثلاً، هذا مستحيل والمشكلة أصبحت خانقة.

سألت نجيب محفوظ: هل تخيلت يومًا شخصية أو نموذجًا كهذا الذى نقرأ عنه فى الصحف الآن؟

أبدًا، أبدًا، (واتسعت ضحكة نجيب محفوظ وهو يضيف)، كان أكبر منحرف أتخيله يختلس جنيهين.

كيف تصف نفسك ؟ قال:

أنا إنسان صادق، وكتاباتى بين الناقد القارئ يحكم عليها وعلى.

هل أديت فريضة الحج ؟

لم أحج، لكن أولادى أدوا فريضة الحج.

سألته، كيف تقضي يومك ؟

أجاب : أقضى فترة الصباح مع الحاج صبرى، فيقرأ لى الصحف والرسائل، وأحيانا يزورنى الطبيب، أما فترة بعد الظهر والمساء فهى مع الأصدقاء وأفراد عائلتى.

ويصمت نجيب محفوظ لحظة وهو ينظر إلى الأمام، ثم يقول وقد خفت صوته قليلاً:

أنا منقطع عن كل شىء، لا أقرأ، ولا أكتب، ولا أسمع الإذاعة، ولا أشاهد التليفزيون، أعيش فى شبه عزلة عن هذه الأشياء.

أليست هذه فرصة للتفكير الصافى وللاختلاء بنفسك بعيدًا عن هذه المؤثرات ؟

هذا انقطاع شديد، ولم يضف إلى شخصيتى إلاَّ مزيدًا من الصبر، آخر ما كتبت كان مجموعة قصص قصيرة، وانتهيت من كتابتها قبل عامين ونشرتها فى مجلة (نصف الدنيا) متتابعة، لكن على فترات (علشان يعيشوا) وبعدها لم أكتب كلمة.

ألم تحاول أن تملى، أو تسجل؟

لا أعرف. صعب جدًّا، حتى لو كانت رسالة صغيرة، فأنا أفكر بيدى، بالقلم.

ألا تستعيد أحيانًا حلمك القديم بأن تكون مهندسًا؟

ضحك نجيب محفوظ وقال: أحيانًا يقولون إننى (مهندس الرواية المصرية) وحبى للهندسة والعلوم الرياضية أكسبنى ذهنًا مرتبًا ومنطقيًا، وساعدنى على تنظيم حياتى، وهذا التنظيم كان ضرورة، لأنى كنت موظفًا ملتزمًا بمواعيدى، وأريد أن أتفرغ لفنى الذى أحبه فحددت وقتًا ثابتًا لا أتنازل عنه، ثم إننى أحب الناس، ومرتبط بأصدقائى، فخصصت لهم وقتًا محددًا، وإذا لم أكن منظمًا بهذه الصورة لما أنجزت شيئًا فى حياتى.



في عيد ميلاد محفوظ الـ ٨٥



محفوظ ينصت لأسئلة المؤلفة



الوسـام*

صباح الغد سأطرق بابه، سأسرع إليه أربت على كتفه بيسراى التى تحتضن أصابعها (وردة) لأعفيه من أن يحيينى واقفًا، وستمتد يمناى إليه تبادله المصافحة.

سيبتسم ابتسامته الواسعة الودود، وستزدحم على شفتيه كلمات الشكر الدافئة .

سأجلس إلى جواره كما تعودت وسيبادرنى سائلاً عن صحتى وعن أحوالى، سيشكر لى تحيتى وتهنئتى، سأتلعثم و أنا أدعو له بطول العمر، فعادة ما تعقد المشاعر لسانى لحظة امتلاء قلبى بها.

* الأهرام فى ١٠/ ١٢/ ٩٣، وهو يوم عيد ميلاد محفوظ الثانى والتسعين.

منذ خمسة عشر عامًا، أحرص على أن أهنئه بيوم مولده.

وأن أدعو له بالصحة وطول العمر، وفى كل عام أتلعثم وينعقد لسانى، عندما تصافحنى ابتسامته، مع صوت تساقط حبات ندى فى حديثه.

عرفته منذ تعلمت كلماتى حروف الهجاء، فقرأت له عن جغرافيا الناس وتاريخ الطرقات، سمعت منه تحليل الواقع وتفسير المستقبل، وفهمت منه كثيرًا عن دروب البشر وأسرار الحياة، معه تعجبت كيف تكون الكتابة نقشًا مرة على وجه الصخر، ومرة على سطح الماء، استوقفتنى نمنماته، كما بهرتنى رسومه الوحشية، أنصت لإيقاع العبارات ولترنيم الكلمات، جميل أن يتوحد الإنسان مع إبداعه (ليصير الكل واحدًا) فيخرج بعضه مع كل زفير يجتاز صدره فى طريقه إلى الآخر.

دوحة عجوز، تمتد جذورها فى الأرض بعيدًا فيستحيل تتبع بداياتها، الأوراق متجددة دائمة الخضرة، الزهور تجود علينا كل عام مرة أو مرتين، الظلال واحة لكل مرتحل وفىء لكل ظمآن.

يقولون إن عالمه هو مدينته، ومن مدينته تجاوز المحدود إلى المطلق، إلى كل العالم.

أنظر إلى قدح القهوة أمامه، ارتشف قشدته وتركه شبه ممتلىء، فهو يكره أن تصل إلى شفتيه العكارة. من خشب غير تقليدى صنع له صديق عصا يتوكأ عليها، تحاول أصابعى أن تكتشف

تضاريس مقبضها، يضحك، وأضحك وتختلط كلماتنا، (ولى فيها مآرب أخرى)

فى صباح الغد سأطرق بابه.

ربما كان مشغولاً بالإنصات إلى مساعده (الحاج صبرى)، يقرأ له بعض ما كتبت الصحف، وربما كان صامتًا متأملاً، وقد عقد كفيه فوق إحدى ركبتيه، وهو يجلس فى قبالة (العرين)، (مقعد أستاذه الحكيم) بينما يتجه بنظره إلى النور.

ربما كان يستعيد أحاديث (رواق) الخميس، ولقاء الرفاق الذين شغلتهم الحياة أو فرقهم الموت .

ربما كان يتأمل هذه الصورة التى رسمها له واحد من عشاق كلماته، فأحال العشقُ فيها شيخوخةَ السنوات صبًا وملاحة.

فى صباح الغد سأطرق بابه، وأنا أفكر فيما يمكن أن يشغل باله فى هذا اليوم، وأمثاله فى كل عام، فهل يكون هذا اليوم هو فرصته لاستعادة خطوات الرحلة من حوارى الجمالية، إلى شوارع العباسية إلى ساحة الجامعة؟

وهل يكون هذا الصباح فرصته لاسترجاع شريط يوم من أيام الشباب؟ فالصباح للخدمة الحكومية التى مارسها بدأب والتزام، والمساء لممارسة العشق المجنون مع الأفلام، والأوراق والليل فى رفقة الصعاليك، ثقافة وفن ومرح.

هل يكون هذا اليوم فرصة لحوار صادق مع نفسه؟ هل قال الرجل كل ماعنده؟ وأفضى بكل ما فى قلبه ؟

هو يقول: لقدأطلقت كل ما فى الكنانة، لكن صمته وارتعاشة شفتيه تشى بأنه لازال هناك سر لم تفصح عن الكلمات.

فى صباح الغد سأطرق بابه

سأبحث فى صدر سترته عن وسام استطاع هو أن يترجم اسم صاحبه إلى لغتنا، وأضحينا نقرأها:

جائزة نوبل.



صورة تذكارية بعد حصول محفوظ على نوبل



أمينة رزق تهنىء محفوظ بنوبل



قاهرة نجيب محفوظ بكاميرا أمريكية *

عندما كانت فى الخامسة من العمر، كان والدها يقرأ لها حكايات ألف ليلة وليلة، وعندما تروح فى النوم الهادئ كانت جفونها تحتضن مشاهد من أروقة بغداد، وروابى دمشق، وطرقات القاهرة وحواريها القديمة، وعاش الشرق فى قلبها وعقلها، رؤى فى النوم وأحلام فى اليقظة، وتحقق الحلم عندما زارت مصر للمرة الأولى عام ١٩٨٩، لكنها لم تبحث عن حكايات (الليالى) القديمة، إنما بحثت عن عالم (نجيب محفوظ): وحملت الكاميرا، وراحت تتجول فى حوارى الجمالية، وتسجل بعدستها روعة المعمار الإسلامى القديم، وسحرتها المآذن والقباب والنقوش، التى تزين جدران المساجد، وبهرتها

*مجلة نصف الدنيا ١٥ نوفمبر ١٩٩٢

المشربيات الخشبية والمصنوعات النحاسية، وعشقت الأوانى الفخارية التقليدية.

ومن بين مئات الصور التى التقطتها للقاهرة القديمة اختارت الأمريكية " برتا لوفا" مجموعة خاصة جدا ضمنتها " ألبوما" بعنوان :" الحياة من خلال العدسة"، ثم أقامت بالمجموعة نفسها معرضًا فى المدخل الرئيسى لمؤسسة الأهرام.

تقول "برتا".

ـ عشت عالم نجيب محفوظ من خلال (صوره الكلامية)، قبل أن آتى إلى القاهرة لأرى بعينى هذا ا العالم الساحر، وأردت أن أسجل ما شاهدت، البيوت ذات الطراز الخاص، الصناعات اليدوية الجميلة، الحوارى والشوارع، لم أكن أتصور أن لقلم (نجيب محفوظ) (عدسة) حساسة دقيقة إلى هذه الدرجة.

ووقعت "برتا" فى "دائرة السحر" التى تحيط بالقاهرة القديمة .

وعندما سمعت بأنباء الزلزال الأخير* اتصلت بأصدقائها فى القاهرة تطمئن علي" آثار مصر الإسلامية"، قبل أن تطير إليها حاملة الكاميرا لتسجل "آثار الزلزال"، استعدادًا لإقامة معرض خاص يجوب الولايات المتحدة، فى بداية حملة لجمع التبرعات لصالح ترميم هذه الكنوز، وإعادة بناء ما تهدم.

---

*تقصد زلزال اكتوبر ١٩٩٢



زوجة رجل مهم
عطية الله نجيب محفوظ *

فى أكتوبر ١٩٨٨م كان اللقاء الأول بين هذه السيدة وقراء زوجها ومحبيه، ففى منتصف ذلك الشهر أعلن عن حصول الأديب نجيب محفوظ على جائزة نوبل فى الأدب، ولأن الخبر كان مفاجأة بكل معانى الكلمة، فقد اقتحم المهنئون والمعجبون مع رجال الصحافة والإعلام بيت نجيب محفوظ فجأة ودون سابق إنذار.

وكما كانت تلك هى المرة الأولى التى يدخل فيها (الغرباء)، بيت نجيب محفوظ، فقد كانت هى المرة الأولى التى تلتقى فيها السيدة

*مجلة كوكب الشرق مارس ١٩٩٢

(عطية الله) بالإعلاميين، إلا أنها لم تخرج عن طبيعتها. فقد كانت ـ رغم فرحتها الغامرة ـ هادئة رزينة بشوش مجاملة. "تجنبت كثيرًا من اللقاءات الصحفية وانسحبت بدبلوماسية شديدة من (ورطة) الاستجوابات والاستفهامات، وحاولت أن تحافظ على مكانها الذى اختارته لنفسها منذ ارتبطت بنجيب محفوظ فى عام ١٩٥٤م".

نموذج طيب للزوجة التى وهبت حياتها لخدمة زوجها وبيتها فقط، فليس فى تفكيرها شيء سوى إسعاد أفراد أسرتها وعلى رأسهم الزوج . وليس فى برنامجها إلاَّ فقرات متتابعة تهدف كلها إلى راحة هذه الأسرة وتلبية طلباتها.

بيتها معزوفة أنيقة بسيطة، تظهر فيها لمساتها الخاصة على كل ركن فيه، نباتات الظل تنتشر هنا وهناك، تعطى إحساسًا متدفقًا بالحياة، وتنسجم مع الألوان الهادئة والأناقة التلقائية.

ومع كلمات الود والترحيب الصادقة يشعر الزائر بأنه (صاحب المكان)، حجرتا الاستقبال المتتابعتان تعطيان إحساسا برحابة المكان، والإضاءة المباشرة تضفى عليه جوًا من الصراحة والصدق.

وإذا كان الهدف من الزيارة هو لقاء (الأستاذ)، فستدخل إلى حجرة المكتب، وهى حجرة صغيرة مكتظة بالأوراق والكتب، حتى المكتب نفسه ليس به مساحة خالية للكتابة، اللهم إلاَّ ما يكفى لوضع (فرخين) من الورق، صورة باسمة لصاحب البيت تتصدر المكان، ويقابلها من الناحية الأخرى (دولاب) زجاجى اصطفت على رفوفه

الجوائز والأوسمة والهدايا، لعل أهمها (نوبل) و (قلادة النيل) و(وسام الدولة).

والزوجة هنا لا تتدخل أبدًا فى الحديث، ولا تشارك فى الحوار، هى فقط (مضيفة) كريمة تقدم لك واجب الضيافة.

طلبت منها أن تتحدث، ابتسمت فى خجل وقور، وقبلت دعوتى بتشجيع من الزوج (نجيب محفوظ).

هذه السيدة التى اختارت أن تكون وراء الزوج العبقرى، ولم تحاول يومًا أن تطالب بأن تكون معه داخل إطار الصورة، بل اقتنعت بأن مكانها هذا ليس فيه تقليل من قيمتها أو إهدار لحقها، بل إنها مقتنعة وبشدة بهذا الموقع وبشرف هذا المكان.

أعطى نجيب محفوظ حياته لكتابته و إبداعه، واختار أن يلتقى برفاقه وأصدقائه وتلاميذه فى المقاهى والمشارب، والأماكن العامة وهى أعطت حياتها لبيتها وابنتيها (فاطمة وأم كلثوم).

كان من الصعب أن أقنعها بالإجابة عن أسئلتى، لكنها احتفظت بابتسامتها الراقية.

كيف كان لقاؤك الأول بنجيب محفوظ؟

كان اللقاء تقليديًا لأنه كان صديقًا لأخى، ويتردد على منزلنا، وكثيرًا ما جمعتنا أمسيات السمر العائلية.

وماذا لفت نظرك إليه؟

نجيب إنسان طيب القلب جدًا، نادرًا ما تجدين شخصًا يشبهه فى ذلك

وماذا عن فتره الخطوبة؟

لم تكن هناك فترة خطوبة، بعد موافقة أهلى تمت الاستعدادات للزواج فى أيام قليلة ودون شكليات، كانت الدنيا بسيطة والحياة سهلة.

ـ ألم يكن هناك حفل زواج . "فرح "؟

لا . كانت حفلة بسيطة لم يحضرها أكثر من عشرة أشخاص، ألم أقل لك إنه لم تكن هناك شكليات ولا أعباء مظهرية .

هل اختلف نجيب محفوظ أيام الخطبة عنه بعد الزواج والإنجاب؟

أبدًا فنجيب دائمًا هو الإنسان الطيب الهاديء المنظم جدًا، الودود وعلاقته معنا فى المنزل لا تختلف عن علاقته بالآخرين خارجه . . فهو إنسان معتدل وصادق مع نفسه جدًا.

ـ وهل هو (سى السيد)؟

تضحك السيدة عطية الله أو (عطا) كما يناديها زوجها وتقول:

أبدا أبدا والله هو إنسان طيب متسامح، طيب جدًا ولم يكن أبدًا (سى السيد).

ـ هل يشاركك زوجك بعض شئون المنزل؟

لا. هو لا يعرف شيئًا فى المنزل، وأنا لا أجعله يتدخل، لأنه منظم جدًا ولا يطيق أن يغير أحد فى نظام شيء وضعه بنفسه، وهو دقيق جدًا فى مواعيده بالثانية، ولا يحتاج لأن ينبهه أحد أو يذكره بمواعيده،

أما أنا فلا أستطيع أن أكون مثله أبدًا، ودورى هو أن أوفر له احتياجاته فى المواعيد التى يحددها.

ـ من يختار ملابس الأستاذ نجيب؟

أحيانًا أختارها له وأحيانًا يختارها هو.

ـ ما لونه المفضل فى الملابس؟

هو يحب اللون الأخضر جدًّا، وهو لون صعب ونادر فى الملابس الرجالى

من يختار ملابس الأستاذ نجيب قبل خروجه؟

إذا كانت ألوانه متناسقة اعرفى أننى اخترتها له، وإذا لم تكنِ اعرفى أننى كنت مشغولة عنه.

أسرتك أسرة مثالية، فقد أنجبتما بنتين فقط، ألم يبد زوجك رغبة فى إنجاب (ولد)؟

لم يتحدث نجيب معى أبدًا حول هذا الموضوع، هو يحب البنات جدًّا.

هل يتذكر زوجك المناسبات الخاصة بك، عيد ميلادك،عيد زواجكما، وماذا عن هداياه؟

وتضحك السيدة (عطا) من قلبها وهى تقول، هو لا يهتم بمثل هذه الأشياء، هديته الوحيدة لى طوال هذه السنوات كانت (ساعة ذهبية)، يوم حصوله على جائزة الدولة التقديرية.

تحملت وحدك مسئوليات البيت وتربية الأطفال، حتى تمنحى زوجك فرصة التفرغ الكامل لعمله، فهل كان هذا محل تقدير منه؟

فى الحقيقة هو يقدر جهودى جدًّا، ويشعر بها ويقول دائمًا عنى: إننى (جدعة).

ـ هل تقرئين روايات زوجك قبل أن يسلمها للمطبعة؟

أنا لا أعرف شيئًا عن عمله، أو كتاباته ولم يحدث أن كلمنى هو عن شىء مما يكتبه.

وبعد أن تنشر؟

أحيانًا لا أجد الوقت الكافى للقراءة.

ـ والأفلام؟

* رأيت كل الأفلام التى كتب نجيب قصصها، وأنا أفضل الحفلات العامة أكثر من العروض الخاصة، حتى أسمع تعليقات الجمهور.

وماذا عن أحلام نجيب محفوظ هل كان يحدثك عنها؟

كل أحلامه كانت فى رواياته.

وأسأل السيدة عطية الله نجيب محفوظ زوجة أول أديب عربى يحصل على جائزة نوبل للأدب

هل تغيرت حياة نجيب محفوظ بعد حصوله على نوبل؟

تغيرت ولم تتغير، بمعنى أن نظام حياته الهادىء المرتب بدأت تدخله عوامل خارجية أخرى، مثل حضور احتفالات واستقبالات،

رسمية، التليفون فى منزلنا لا يتوقف عن الرنين، كان نجيب منظمًا فى حياته، الخميس صباحًا فى الأهرام، الجمعة صباحًا فى (على بابا)، الجمعة عصرًا فى (كازينو قصر النيل) وجلسة الحرافيش وغيرها فى مواعيد ثابتة. ولما دخل (نوبل) إلى منزلنا أدخل بعض التغيير، لكن الأمور بدأت تعود إلى طبيعتها نسبيًا، خصوصًا أن ظروف نجيب الصحية فرضت علينا مزيدًا من التحفظ فى الفترة الأخيرة.



نجيب محفوظ ورواية الحياة *

شهد العالم له بالبراعة فى فن الرواية، عشنا معه عوالم مختلفة، للمناضلين والخارجين على القانون، للمكافحات، والمتمردات، ودخلنا مع كلماته إلى بيوت الأكابر، والقصور، كما دخلنا أوكار المنحرفين، لكننا أبدًا لم ندخل معه عالمه الخاص، فماذا لو عشنا مشاهد قليلة من رواية عنوانها " نجيب محفوظ " ؟

المكان قلب القاهرة القديمة، حى الجمالية، حيث رائحة التاريخ وألوان الماضى، لا تزال البيوت تحمل أسماء أصحابها، المارة يتبادلون التحية والسلام، فيقطع صوتهم هدوء الطرقات الضيفة النظيفة، صيحات الصغار تبعث الدفء فى جنبات الحوارى والأزقة.

*مجلة نصف الدنيا ٢٦ ديسمبر ١٩٩٢: بمناسبة عيد ميلاده الواحد والثمانين.

الزمان: الحادى عشر من ديسمبر عام (١٩١١) لابد أنها كانت أمسية قارسة البرد، ولابد أن الجميع كان يلتمس الدفء حول (المنقد)، وقد تأججت فى وسطه قطع الفحم الصافية، فى هذه الليلة، تعثرت الأم فى ولادتها وحاولت (الداية)، وتكررت المحاولة فخرجت إلى حيث كان يجلس الأب وحوله أهله والأصدقاء وقالت :

لابد أن تستدعى الطبيب، فأنا أخشى على حياة الطفل والأم معا.

وأسرع أحد الرفاق ليستدعى الدكتور (نجيب محفوظ) أشهر أطباء التوليد فى هذا الجيل، وتمت عملية الولادة، وخرج إلى الحياة صبى صغير سبقت صرخته صيحات الفرحة من كل الموجودين.

وقطع الطبيب الحبل السرى الذى يربط أحشاء الطفل بأحشاء أمه، إلاَّ أن حبلاً سريًا آخر - أقوى وأشد - ظل يربطه بهذا العالم العجيب والفريد، عالم الجمالية، ويصر الأب على أن يحمل ابنه اسم الطبيب الذى ساعده على أن يخرج إلى الحياة.

وكما رضع الصغير لبن (الحب) من ثدى أمه، رضع (حب) الحياة من كل ما يحيطه: الشوارع، الناس، المآذن القريبة ترتفع من مساجد الحسين والأزهر والغورى والأقمر وبرقوق.

وتمضى رحلة الحياة بالفتى فتحمله ساقاه الصغيرتان إلى بيت القاضى، والنحاسين والصاغة وخان الخليلى، ثم يعبر شارع الأزهر ليلهو مع رفاقه فى الغورية، والخيامية والفحامين، مارًا بوكالة الغورى والمسافرخانة.

وترتفع عيناه فى اتجاه السماء، ينظر إلى البوابات الضخمة، باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة، وينتقل الفتى (نجيب) من حى التاريخ والدراويش والبيوت القديمة، ليسكن (العباسية) حى الصفوة والعائلات المصرية العريقة.

قد يكون هذا هو الفصل الأول، أو جزءًا من الفصل الأول لرواية طويلة، كم تمنيت لو قرأتها بقلم بطلها الحقيقى، صاحبها، الذى يعرف بلا شك خباياها ودقائقها، وهو لابد ناجح فى نقل هذه الخبايا إلى القراء، فهو صاحب القلم الذى دخل بنا فى دقائق حياة الآخرين .

فماذا لو كتب نجيب محفوظ رواية عنوانها (نجيب محفوظ) ؟!

حملت أسئلتى ومعها شرائط وأوراق الذكريات، وذهبت إليه فى صباح الخميس وهو موعد وجوده فى مكتبه بالأهرام.

قبل أن تدق أصابعى باب الغرفة (٦٠٦)، استوقفتنى صورة (الشيخ)، شيخ كتاب مصر وأدبائها، الريشة والألوان للفنان صلاح طاهر، والصورة لتوفيق الحكيم مع لوحة تذكارية وضعت بعد وفاته على باب غرفته، الغرفة (٦٠٦)، أو " رواق " الحكيم كما كان يحلو للجميع أن يسميها فى حياته.

الغرفة المجاورة (٦٠٧)، كانت لسنوات طويلة هى غرفة (نجيب محفوظ)، وكان يشاركه فيها معلم هذا الجيل (د. زكى نجيب محمود) .

وبعد حصول (محفوظ) على جائزة نوبل فى عام ١٩٨٨، انتقل إلى (الرواق)، فالمكان أكثر اتساعًا ويتيح فرصة لقاء عدد كبير من الزوار،

ويرفض نجيب محفوظ أن يجلس على مقعد (الحكيم)، وأمام مكتبه ويصر ـ حتى اليوم ـ على الجلوس فى مكان من الغرفة يضم (صالونًا) صغيرًا معدًا لاستقبال الزوار، لأنه ليس من اللائق أن يجلس فى مكان (أستاذه ومعلمه)، ويؤكد محفوظ بهذا الموقف خطًا جديدًا ومتجددًا فى صورته صورة ـ ابن البلد وابن الأصول ـ الذى لا تغيره الظروف.

ما إن يرانا الأستاذ نجيب حتى يقف متهللاً، مرحبًا، وهذا هو نجيب محفوظ، يصر أن أجلس قبله، يسألنى عن قهوتى:

الضحكة الحلوة نفسها والكلمات الودود، نفس القلب المتفتح لاستقبال الناس، مضت السنون بالرجل، ولم يتغير فيه شيء، فقط فقد بعضًا من وزنه، ولازمه (العكاز) التقليدى.

وطرحت سؤالى : ماذا لو كتب نجيب محفوظ رواية عنوانها (نجيب محفوظ)؟

وتنطلق ضحكته المقهقهة الصافية بينما ترقد كفاه ـ واحدة فوق الأخرى ـ مستندة على مقبض العكاز.

فى هذه الحالة ستكون سيرة، فما دمت كتبت (نجيب محفوظ) فستكون سيرة، أما لو أردت أن أكتب عن شخصيتى بطريقة روائية فسأطلق عليها اسما آخر.

مثل؟

أى اسم، وفى هذه الحالة ستكون قصة عن حياتى، ولكن بشكل روائى.

ألم تزرك هذه الفكرة من قبل ؟

أبدا.

لو افترضنا أنك تكتبها، فمن سيكون أبطالها معك ؟

زملاء الصبا، بعضهم نسيت أسماءهم، لكنهم لازالوا يعيشون معى، لأنهم دخلوا فى تكوينى الأساسى، الأول، كذلك سيدخل فى هذه الرواية أصدقاء الشباب من العباسية، انقطعت صلتى ببعضهم واستمرت مع بعضهم، مع هؤلاء هناك بعض الشخصيات العامة، ناس كتير، حياتى طويلة جدًا، وعريضة.

وماذا عن البطولة النسائية ؟

وتختلط الابتسامة بنبرة صوته وهو يقول :

هنا المشكلة، نتخيل هذه الشخصية.

أين موقعها، وما ملامحها ؟

كان عهدًا قديمًا، فات، وبعضهن لا أستطيع أن أقترب حتى من رسم ملامحن، لأنهن مازلن على قيد الحياة.

أنا لا أسأل عن الأسماء، ولا عن الصفات أنا فقط أسأل عن الموقع، عن الدور، عن المساحة؟

ويطيل نجيب محفوظ الصمت وكأنه (يقلب) الكلام فى داخله ويقول: كثير، الأهل، الجيران، زملاء العمل.

بس؟

هذا تاريخ وللتاريخ قداسته وصيانته، ولا أملك التصرف فيه، قد أستعين ببعض هذه النماذج فى أعمال روائية أخرى، لا يكون فيها (نجيب محفوظ).

وتأكدى أن كل شخصية تقابل الكاتب تترك أثرها فى خياله، ويستعملها وقتما أراد، دون الاقتراب من دائرة (الذاتية) .

وماذا عن مسرح الأحداث، أحداث رواية نجيب محفوظ ؟

الجمالية، والعباسية، القاهرة الحديثة، الجامعة، الأوقاف، أماكن كثيرة .

وأين يجد نجيب محفوظ نفسه؟

فى الأماكن الشعبية

وقعدة الحرافيش ؟!

الاقتراب من عالم الحرافيش صعب، أولاً لأن أغلبهم معروفون ومشهورون، ثم لأن صداقتهم معى حديثة نسبيًا، فقط بدأت فى عام ١٩٤٣، وعمومًا الكتابة الروائية عن شخصية يمكن للقارئ معرفة اسمها الحقيقى ليس مرغوبًا فيه ولا مطلوبًا، وهذا يفيد الكاتب.

فى تجربة القصة القصيرة، ألم تكن يومًا بطلاً حقيقيًا لإحداها ؟

لا أذكر، لكن لابد أن تكون هذه القصص قد دخلت تجربتى الشخصية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وماذا تغير فى حياة نجيب محفوظ فى السنوات الأخيرة ؟

بالمصادفة تغيرت حياتى تمامًا، وبدأ التغيير من عام ١٩٨٧ بسبب ضعف بصرى وضعف سمعى، لأن هذا جعلنى شخصًا لا يطالع كتابًا ولا صحيفة، ولا يرى فيلمًا ولا تليفزيونًا ولا يشاهد مسرحية، وهذا تغيير كلى فى حياتى، صحيح أنه بدأ بالتدريج، لكنه كان تغييرًا كبيرًا فى حياتى، وبدأ الفراغ يحتل حياتى بعد أن كانت بعيدة تماما عنه.

وكيف عالجت مشكلة الفراغ ؟

أصدقائى - كتر خيرهم - يخصص لى كل منهم يومًا، يمر بى فترة بعد الظهر، يستعرض لى أهم ما فى الصحف، قد يحدثنى عن كتاب قرأه أو ديوان جديد، أو المهم أنه يجعلنى أعيش الحياة من خلاله، وتمضى أيام الأسبوع على هذا النحو، وهذا شىء جميل، فلا يمكن أن أتصور شكل الحياة دون هؤلاء الأصدقاء.

وتمر لحظة صمت أتأمل فيها ملامح نجيب محفوظ الراضية، لقد عشنا ومازلنا نعيش ملامح العالم، والناس، من خلال كتابات نجيب محفوظ، واليوم يعيش (محفوظ) العالم من خلال أصدقائه وهو مستمتع بهذه الرؤية، يتذوق معها الوفاء من الناس، ويسمع فيها النبض المتغير للأجيال.

ويمر بخاطرى شريط طويل من الصور لأغلفة أعمال (محفوظ)، والتى يحاول فيها الفنان أن يجسد البطل أو البطلة، وأن يقدم بعدًا من أبعاده وملامحه الجسدية والنفسية، وأتذكر أسماء عديدة من الأبطال لمحنا فى بعضها شيئًا من الملامح الحقيقية لكاتبها وربما توهمنا ذلك.

فهل هو السيد (أحمد عبد الجواد)، أو هو (كمال عبد الجواد)، هل هو (جعفر الراوى)، هل هو؟!

المؤلف حاضر فى كل شخصياته فهو جزء منها وهى جزء منه، هذه هى القاعدة لأنه هو خالقها الذى يقدمها ويعطيها، رؤيته الخاصة، فهو يعيش كل الأحداث والشخصيات والأفكار، وقد يكون كمال عبد الجواد هو أقرب الشخصيات شبهًا بى.

وجعفر الراوى ؟

لا أعتقد

وراوى قشتمر ؟

راوى قشتمر، هو أنا فعلاً، وهو شخصية خارجية لا تتدخل فى نسيج الأحداث.

أحيانا نشعر أن أبطالك يتحدثون بلسانك ويعبرون عن آرائك الشخصية ؟

هذه شخصيات تتفق معى فى الرأى وأشهرها كمال عبد الجواد .

ومَنْ من شخصيات ميرامار، وثرثرة فوق النيل ؟

ربما كان العجوز فى ميرامار .

عندما بدأت رحلتك الإبداعية كان هناك هدف محدد أمامك، هو البحث عن سر الوجود ومصير الإنسان، فإلى أين انتهى بك هذا البحث الفلسفى ؟!

كان هذا أثناء استغراقى فى دراسة الفلسفة، لكن عندما اتجهت ناحية الأدب بدأت أتابع نبض قلبى، وكلما انفعلت بتجربة إنسانية أحب أن أشرك الآخرين معى فيها.

وكان من الطبيعى أن أعطى رؤيتى أثناء ذلك، وعبرت عما أحب وعما أكره، المهم أننى استطعت أن أعطى للحياة معنى أعيش فى ظله.

وما هو هذا المعنى ؟

الحياة عندى نعمة كبيرة، ونحن نحياها لنغيرها ونستفيد منها، نعمرها، نحافظ عليها، ومن خلال هذا الحوار علينا أن نحافظ على القيم لننجو بالحياة من الخراب والتخريب، وحتى تصبح الحياة محتملة.

بهذا المفهوم يمكن للإنسان أن يأخذ من الحياة وأن يعطيها، وأن يترك فيها إضافة تتناسب مع طاقته.

هل أعطى نجيب محفوظ للحياة ما كان يجب أن يعطيها ؟

أعطاها بقدر طاقته وربما أكثر.

أعتقد أن نجيب محفوظ (عمل اللى عليه) !!

لابد أن هناك موقفًا عاطفيًا وشعورًا خاصًا من الكاتب تجاه شخصياته الروائية، قد يكون تعاطفًا أو كراهية أو حبًا أو شفقة أو احترامًا أو احتقارًا، كيف يتعامل نجيب محفوظ مع أبطاله ؟!

هذا صحيح، لكن يغلب على كل هذا نوع من الاحترام وتقدير

الظروف، فليس هناك موقف قاسٍ منى تجاه أىٍ من شخصياتى، حتى لو كانت شخصية منحرفة، فأنا دائمًا متعاطف معها مقدر لظروفها.

ألم تكره بعض أبطالك ؟

الشخصيات الأنانية التى تدوس الآخرين فى سبيل مصالحها

وماذا عن شخصيات (المرايا) هل هى شخصيات حقيقية ؟

قد تكون شخصيات واقعية، لكنها روائية فى المحل الأول، ولو كتبت عن شخصيات حقيقية لكانت الكتابة مثل محاضر (البوليس) وفى هذه الحالة كنت سأكتب الاسم الحقيقى للشخصية، وهذا يقتضى منى مجهودًا كبيرًا حتى أكون (واقعيًا) (حقيقيًا) (صادقًا).

قد يكون اختيار عنوان (المرايا) تعبيرًا عن حقيقة هذا العمل. فهو المرايا الخاصة التى يرى فيها الروائى نجيب محفوظ شخصياته الحقيقية.

هذا حقيقى.

وماذا عن نهايات أعمالك، هل تكون جاهزة، مسبقة ؟

النهايات تنمو مع الأحداث، وهى غير مسبقة.

فى أعمال نجيب محفوظ عدد من الشخصيات النسائية المتمردة خصوصًا فى الطبقات الشعبية، فهل عايشت هذه النماذج، وهل اقتربت منها ؟!

أنا أعيش الحياة يومًا بيوم، وقدمت كل النماذج، السيدة التقليدية وبنت البلد، وسيدات المجتمع والطبقة الوسطى، ونوعيات أخرى مثل الساقطات والعوالم، وعندما تحولت هذه الأعمال إلى أفلام سينمائية، حدث تركيز على هذه الشخصيات، فظهرت أمام الناس أننى (بتاع عوالم) وهذا غير صحيح، والله.

بالمناسبة، ما صلتك بالعوالم ؟

يضحك نجيب محفوظ من قلبه ويقول:

أنا لم أخالط العوالم مثل توفيق الحكيم مثلاً، أنا فقط رأيتهن فى الأفراح وتعاملت معهن أحيانًا، فى حدود.

وأشارك نجيب محفوظ ضحكته الصافية وأترك شريط (الكاسيت) ليسجلها ويسجل معها ملمحًا أصيلاً فى شخصية (محفوظ)، ثم أتفق معه على لقاء آخر فى السادسة من مساء الجمعة، فى لقاء كازينو قصر النيل، حيث الجلسة الأسبوعية مع التلاميذ والأصدقاء.

أهبط درجات السلم لأقترب من مستوى سطح النيل، تداعبنى حركة الماء الهادئة، لا يثيرها إلاَّ مرور القوارب وما ينبعث منها من أصوات، أجهزة التسجيل، والشرائط (العجيبة - الغريبة).

إلى اليمين أتجه إلى حيث تجمع المثقفين، لا زال أمامنا ساعة حتى يصل (الأستاذ)، لكن عليك أن تحضر مبكرًا لتحجز لك مقعدًا، وعليك أيضًا أن تتحمل دخان السجائر فى مباراة التدخين الكبرى، التى يقودها الكاتب المسرحى الساخر على سالم.

وكما تتوزع أقداح القهوة وطفايات السجائر، فوق الطاولة التى تتوسط الجميع، كانت الأفكار تتوزع بين الحاضرين وتذكرت (هايد بارك)، حيث يعبر كل شخص عن رأيه بلغته الخاصة، وما إن لمحنا الأستاذ (قادمًا) حتى صمت الجميع، ووقفنا احترامًا لمقدمه، أخذ نجيب محفوظ طريقه إلى مقعده ـ المقعد الأول من الجانب الأيسر ـ تسبقه ابتسامته وتحيته يوزعها بيده فى حركة بين صدره وجبهته، أهلاً وسهلاً، أهلاً، أزيك، إيه أخبارك، يرددها وكأنه يخص بها كل فرد منا، وتستمر المناقشات والحوارات، هو أقل الحاضرين كلامًا، وتعليقًا، وأكثرهم دعابة وأصدقهم ضحكة.

مشهد يذكرك بأروقة الحكماء الإغريق، أو بمسامرات الخلفاء وبندوات أدباء بدايات القرن.

مشهد لابد أنه موجود ضمن فصول الرواية الكبيرة التى تحمل اسم (نجيب محفوظ) !!



في عيد ميلاد محفوظ الـ ٨١



البحث عن معنى جديد لإنسان

" القاهرة ٩٠" *

لا شك أن الجلوس إلى نجيب محفوظ، والحديث معه متعة لا تماثلها إلا متعة قراءته، ومصدر هذه المتعة ليس أنك تحاور كاتبًا عربيًا قديرًا، ولكن مصدرها الحقيقى هو أنك تحادث إنسانًا مصريًا أصيلاً، وهذه الأصالة هى مفتاح عبقرية الرجل وسر تميزه كمبدع، استطاع أن ينال تقدير العالم.

قضى حياته عاشقًا لا يؤمن بتعدد المعشوقات، وأعطى حبه كله لحبيبة واحدة: وقع فى أسرها، واستحوذت على كل تفكيره فلم يغادر

* فى عيد ميلاده الثمانين ١٣/ ١٢/ ١٩٩١.

أراضيها إلى أى مكان، آخر هى: مصر . لم تغب عنه ابتسامته الودود ولا ضحكته المنطلقة، ولا إجاباته وتعليقاته الذكية المرحة .

كل سنه وأنت طيب.

كل سنة وأنتم جميعًا بخير وصحة.

أستاذ نجيب محفوظ، ماذا ا لو عادت الأيام هل ستختار الطريق نفسه والاتجاه نفسه. والعمل نفسه أم تتمنى لو سارت الحياة مسيرة أخرى ؟

فى البداية كان اختيارى مبنيًا على حرية تامة، واختبار للنفس وأنا لم أختر هذا الطريق مصادفة، أو كيفما اتفق، إنما عاصرت الثقافة والمثقفين فترة غير قصيرة، وعرفت اين طريقى فيها هو اختيار لا يمكن أن أندم عليه، لو عادت الأيام وكانت الظروف نفسها فسأعيد الاختيار نفسه بطبيعة الحال.

لماذا لم يكتب نجيب محفوظ سيرته الذاتية؟

أنا لم أكتبها لأنها كتبت أكثر مما يجب، مرة فى الإذاعة، وفى حلقات طويلة للتليفزيون، وفى كتاب جمال الغيطانى، وأكبر وأهم مذكراتى كتبتها أخيرًا مع رجاء النقاش، أعتقد أن هذا يكفى.

***هل نؤرخ لنجيب محفوظ من خلال كتاباته؟ أو هل يجد القارئ نجيب محفوظ فى أبطال أعماله؟**

للأعمال دلالات كثيرة، يمكن للمؤرخ أن يستنتج منها ما يشاء عن

شخصية الكاتب، وهذا لا يعنى أن يعرف تفاصيل حياته، فالأعمال الروائية ليست تاريخًا لكاتبها كالسيرة الذاتية، ومن قراءة أعمال أى كاتب يمكن أن نتعرف على عقليته،رؤيته، ذوقه،أما سيرته الذاتية فهذا شىء غير ممكن.

من أقرب شخصيات نجيب محفوظ الكاتب لحقيقة نجيب محفوظ الإنسان؟

ربما كان، كمال عبد الجواد

كان الإنسان المصرى عمومًا، وإنسان القاهرة على وجه الخصوص هو موضوعك الأول، واقتربت من هذا الإنسان منذ بدايات القرن الحالى، ورسمته لنا بكل ملامحه الفكرية والثقافية والحياتية، ورأينا فى أعمالك إنسان العقد الثانى والثالث،حتى العقد الماضى، فكيف ترى إنسان القاهرة(٩٠)؟

إنسان القاهرة(٩٠) ثمرة مرة لظروف مريرة، لهذا فإننا نظلمه لو حكمنا عليه من خلال الفترة الحالية، وسيكون حكمنا غير واقعى لأنه يشبه الحكم على شخص ما، أثناء فترة مرضه، وهو عرض استثنائى، وفعلاً العقد الحالى بالنسبة للإنسان المصرى هو أسوأ العقود الماضية كلها، لأنه ـ كما قلت ـ ثمرة مرة لظروف شديدة المرارة،هى نتاج لتراكمات سنين عديدة.

كيف نخرج من هذا المأزق؟

أنا لا أتصور خروجًا من هذا المأزق إلاَّ بالتنمية الشاملة.

لو أردنا أن نكتب تاريخ مصر فى القرن الأخير من خلال أسماء الأعلام، وليس من خلال الأحداث،فكيف يكتبه نجيب محفوظ؟

ـ سعد زغلول ومصطفى النحاس. وجمال عبد الناصر والسادات ومبارك .

ركزت على الجانب السياسى وأغفلت جيل مصطفى كامل ومحمد فريد فى بداية القرن؟

هؤلاء كانوا تمهيدًا، أما الإنجاز فكان سعد زغلول، وأنا ركزت على الجانب السياسى لأنه الخط الرئيس الذى تدور حوله باقى الخطوط، ومع هذا فقد كان هناك أعلام بارزون فى مجال الفكر والاجتماع والتطور الحضارى، أذكر منهم لطفى السيد وطه حسين والعقاد وسلامه موسى، وتوفيق الحكيم، ومحمد حسين هيكل والمازنى ومندور وغيرهم.

وفى العلوم كان هناك أمثال د. مشرفة ود. على إبراهيم، وفى الفن أم كلثوم وعبد الوهاب ويوسف وهبى.

من الشخصية النسائية التى تركت أوضح بصمة على تاريخ مصر فى هذا القرن؟

هدى شعراوى، لأنها كانت أكبر قوة مساندة للنهضة النسائية، واستطاعت أن تترك بصمتها على كل الحياة المصرية، باستنفارها للمرأة كى تشارك فى صنع تاريخ مصر السياسى والاجتماعى والعلمى.

فى رأيك، ما أهم الأحداث غير العسكرية التى صنعت تاريخ مصر فى القرن العشرين ؟؟

طبعًا ثورة ١٩١٩، وثورة يوليو، والنهضة التعليمية، وأخيرًا سبقنا إلى النهضة الفكرية منذ عهد الطهطاوى،كل هذه الأحداث أسهمت فى تكوين شخصية الإنسان المصرى، وجعلتها متميزة رغم ما حاق بها من هزائم وخسائر اقتصادية .

وقفنا عند بعض الأسماء التى صنعت تاريخ مصر والعالم فى القرن العشرين، فماذا ترى عن القرن القادم هل تراه سيشهد أسماء فردية متميزة كذلك؟

أعتقد أن شكل الفرد العبقرى المبتكر قد انتهى،فبعد تعقد البحث العلمى وتشابكه بلغ عدد الباحثين، الذين يعملون فى حل مشكلة علمية أو إجراء بحث جديد، ربما مئات الآلاف،وهذه هى طبيعة الأمور فاختفت الأسماء، وأصبحت المجاميع هى صانعه الحضارة وليس الفرد.

أخيرًا سافر نجيب محفوظ إلى إحدى عواصم الغرب، ما حقيقة مشاعرك وأنت ترى العاصمة الإنجليزية للمرة الأولى، ألم تتمن لو أنك زرتها من قبل؟

زيارتى الأخيرة كانت زيارة خاصة مصحوبة بذكريات رديئة، وإذا كنت أكره السفر قبلها مرة، فبعدها كرهته مائة مرة، ولا أحمل لها إلاَّ ذكريات المرارة والقلق (القرف).

ألم تندم على أنك لم تسافر خارج مصر طوال حياتك،فيما عدا الرحلتين القصيرتين الرسميتين؟

فى شبابى، كنت أحب السفر،لكن لم تأتنى الفرصة.

هل كان هذا هو السبب فى أنك لم تطرح إشكالية الحوار أو الصدام بين الشرق والغرب فى أعمالك مثلما فعل الحكيم وطه حسين؟

الحكيم وحقى وطه حسين، ناقشوا هذا الموضوع كقضية قائمة بذاتها، أما أنا فناقشتها ضمن أعمال، مثلما حدث فى الثلاثية كحالة من الحالات التى عاشها المجتمع. وكان علىَّ أن أناقش كيف تؤثر الثقافة والحضارة الواردة من الغرب على مجتمعنا، وعلى ثقافتنا وعلى قيمنا الأصيلة؟ وكيف يخلق هذا الموقف أزمات فكرية عند الأجيال المختلفة؟

وإذا كان أساتذتى ناقشوا موقف ابن الشرق عندما يصطدم بحضارة الغرب، فقد عالجت أنا موقف الشرق عندما يغزوه فكر الغرب، طبعًا هذا بسبب اختلاف مواقعنا،وأنا لم أركز عليها لأننى لم اصطدم بها اصطدامًا مباشرًا.

أما زال فى جعبة نجيب محفوظ مالم يقله بعد؟

فى هذه السن، وبعد هذه الفترة الطويلة من العمل والكتابة، لا أعتقد أنه مازال هناك مالم أعبر عنه أو أقله، لكن هناك دائمًا تنويعات ـ كما يقولون ـ على النغمة الأصلية.

سألت نجيب محفوظ،كيف يرى مسيرة المثقف المصرى خلال القرن العشرين فأجاب:

أرى نضال المثقف المصرى ينقسم إلى مرحتلين: مرحلة النضال الليبرالى قبل ثورة ٥٢، وكان نضاله من أجل الحرية والاستقلال، وشطر آخر بعد الثورة يهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وفى العالم الآن محاولات للتوفيق تهدف إلى الحفاظ على الحرية والعدالة الاجتماعية

هل حقق المثقف المصرى أحلامه لمجتمعه؟

نجح جيل الليبراليين إلى حد بعيد، أما الجيل الآخر فقد قطع أشواطًا طيبة، لكنه تعرض لكثير من النكسات.

كثيرًا ما يحن نجيب محفوظ إلى الماضى، فنراه يعود إليه فى كتاباته ويكثر من (الفلاش باك)؟

هذا صحيح، فالماضى لا يخلو من حلاوة مثل الحاضر، لكن أرى أن الحاضر أحلى.

كيف ترسم ملامح الإنسان المصرى ؟

أولاً هو فلاح، ابن الأرض، وتركت الزراعة وأسلوبها بصمتها عليه، هذه واحدة، والأخرى أنه فى مجتمع ينقسم إلى فلاحين وبيروقراطيين، هذا التقسيم أثرَّ فى أخلاقه وأسلوب تعامله، وتحاول، كل الثورات تعديل هذا النموذج.

وهل نححت فى هذا؟

إلى حد كبير، فنحن مثلاً غيَّرنا النظام الملكى، وهو أوضح رمز على تقديس الفلاح للحكم، وأعتقد أن دخول الصناعة كذلك فى مصر، غيَّر من شخصية الإنسان المصرى،لكن قياس، مثل هذه الأمور يحتاج إلى وقت أطول.

تعددت التصنيفات المطروحة لشخصية الإنسان المصرى، البعض يقول إنه فرعونى والبعض يقول إنه عربى مسلم، والبعض يقول إنه ابن حضارة حوض البحر الأبيض، فإلى أى هذه التصنيفات يميل نجيب محفوظ؟

أنا أتعجب من سماع هذا الكلام، لأن المصرى هو المصرى، عاش الحضارة الفرعونية، وعاش الحضارة الإغريقية والرومانية والعربية، والأخيرة هى الغالبة بحكم التطور التاريخى، لكن هذا لا يعنى أننا نتنكر لماضينا.



نجيب محفوظ وأمينة رزق
وجها لوجه *

ما أكثرها تلك الشخصيات، التى تولد على الأوراق، عندما يهبط الوحى على قلم الكاتب، فيرسم أبطاله، ويتوغل فى علاقتهم، ويفجر عواطفهم،ويحلل انفعالاتهم، هذه الشخصيات التى صنعتها حروف الهجاء، ماذا لو تجسدت، لتمشى على الأرض؟ وتذهب إلى كاتبها لتحاوره، تأخذ منه وتضيف إليه؟

هما قمتان، إحداهما أثبتت عبقريتها فى الأعمال الروائية، التى نالت فى العام الماضى اعتراف العالم فمنحته جائز (نوبل).

والثانية راهبة فى محراب الفن، تمضى كل سنوات عمرها بين خشبة

*مجلة نصف الدنيا ١٨/ ٣/ ١٩٩٠

المسرح واستوديوهات التصوير، وتركت بصمتها براقة ومازالت تضيء فى تاريخ مصر الفنى .

فى طريقنا للقاء نجيب محفوظ قالت أمينة رزق وهى لاتخفى فرحتها: أنا سعيدة جدًّا لأننى سألتقى بنجيب محفوظ لكننى أخشى أن نرهقه ونعطله .

وطمأنتها إلى أن لنا موعدًا محددًا معه، وإلى أننا لن نثقل عليه وأنه يرحب بالحديث معها. سألتنى عن موعدنا معه فقلت لها : مازال أمامنا أكثر من ٤٥ دقيقة .

فقالت: يعرف عنى الجميع حرصى الشديد على المواعيد، وأعتقد أن الفنان يجب أن يكون أحرص الناس على دقة المواعيد .

وعندما التقت أمينة رزق بنجيب محفوظ، أشاعت بكلماتها الرقيقة وابتساماتها العذبة جوًا من الفرحة والسعادة، وبادلها نجيب محفوظ، الضحكات وكلمات الترحيب، وشد كل منهما على يد الآخر .

واحشانا ياست أمينة.

وانت كمان واحشنى يانجيب بيه.

ولم تمهلنى أمينة رزق حتى أجلس وأدير جهاز التسجيل، فقد بدأت حديثها مع نجيب محفوظ:

وأنا فى طريقى إليك كانت مشاهد فيلم بداية ونهاية تحتل ذاكرتى كانت قصة عظيمة.

ورد نجيب محفوظ، وأنت كنت رائعة فى دور الأم ياست أمينة، وأظن أنك لعبت بطولة هذه الرواية على المسرح وفى السينما.

قالت أمينة رزق: هذا صحيح، وكنت أمثل دورى فى الفيلم نهارًا ثم أقوم به على المسرح مساءً، لكن طبعًا تم عرض الفيلم بعد انتهاء عرض المسرحية، لأن السينما تحتاج لوقت طويل لإعداد الفيلم قبل عرضه للجمهور .

ومن ذكرياتى التى لن أنساها، عن عملى فى هذه الرواية، أن عرض المسرحية انتقل إلى الاسكندرية، بينما كان تمثيل الفيلم فى القاهرة، وأقنعنى مخرج المسرحية بأن المسألة، سهلة ويمكننى أن أركب قطار الساعة السادسة (الديزل)، لأكون فى الإسكندرية حوالى الساعة الثامنة مساءً، قبل رفع الستار بأكثر من ساعة ولكن لسوء الحظ تعطل الديزل فى هذا اليوم، وكنت أبكى من الخوف فلم أتعود أبدًا أن أتأخر عن موعد رفع الستار، وكنت طبعًا متوقعة غضبًا وثورة من الجمهور، وذهبت لسائق القطار ورجوته ألاَّ نتأخر فأقنعنى بأن هناك عطلاً، وعلينا أن ننتظر قطارًا آخر يسحبنا إلى الإسكندرية، وفى محطة طنطا طلبت من شخص لا أعرفه أن يتصل بالمسرح تليفونيًا ويشرح للمخرج ما حدث .

ولما وصلت للمسرح الساعة ١١ كانت مفاجأة، صفق الجميع تصفيقًا حارًا لأكثر من عشر دقائق، ولم أتمالك دموعى ـ دموع حقيقية مش تمثيل ـ ولم أسمع يومها من كل الناس إلاَّ كلمة واحدة، حمدا لله على السلامة ياست أمينة، لقد وصلتنا رسالتك التليفونية .

وكانت ليلة لا تنسى مع بداية ونهاية .

وسأل نجيب محفوظ:

كيف كان إحساسك بالأم فى بداية ونهاية؟

قالت أمينة رزق:

كانت الأم فى "بداية ونهاية" نموذجًا للصبر وقوة الإرادة، وهذا نموذج مصرى أصيل، وأنا كنت سعيدة بهذه الشخصية وأحببتها جدًّا، كما أحببت باقى أبطال هذه الرواية.

فقلت لنجيب محفوظ:

كان لأبطال (بداية ونهاية)، نهايات مأساوية باستثناء الأم والابن الأوسط -حسين الشاب القانع المعتدل، فهل كانت وراء هذه النهاية فلسفة خاصة؟

قال:

أعترف بأننى كنت قاسيًا فى نهاية هذه الرواية، لكننى كنت أريد أن أؤكد على قيمة الكفاح والصبر والعزيمة، والتمسك بالقيم، وهذه القصة كتبتها من حوالى أربعين سنة، وكانت الدنيا غير الدنيا والاعتبارات والمقاييس الاجتماعية مختلفة، ولو كتبت هذه القصة الآن لتغير كثير من وقائعها ومضامينها .

قلت: اشتهرت أمينة رزق فى السنوات الأخيرة بدور الأم، فما رأيك فيها كأم مصرية؟

وقاطعتنا أمينة رزق ضاحكة بقولها:

أنا عايشة سِّنى، أنا مثلت كثيرًا دور الفتاة الصغيرة، ولا أستطيع الآن أن أقوم بهذا الدور، ويناسبنى أكثر دور الأم أو الحماة، والدور ليس مهمًّا، المهم أن أمثل فقط، ولا أتوقف عن التمثيل.

ويبتسم نجيب محفوظ وهو يقول : أنا رأيت أمينة رزق وهى تمثِّل على المسرح، وكانت تبيع الزهور لصالح الجمعيات الخيرية بين الفصول، حقيقى كانت (وردة تبيع ورد)، وهى تعطينى إحساسا بالصدق، وهى تمثل دور الأم أشعر بها فعلاً أمًا مصرية فيها الحنان والقوة، حتى الضعف القوى، أشعر به عندما تريد أمينة رزق أن تؤكده كصفة من صفات الأم المصرية.

وسألت أمينة رزق ما هذا الضعف القوى؟

قال: فى الثلاثية كانت الأم ضعيفة الشخصية، أمام جبروت الأب واستبداده، لكنها استطاعات أن تحافظ على كيان الأسرة، وأن تجمع كل أفرادها بقوة عجيبة.

قالت أمينة رزق:

طبعًا أنا لازم أقوم بدور الأم الآن، وأتعجب من بعض الفنانات، وحتى الفنانين الذين يرفضون أداء أدوار الكبار، مصرِّين على أن يظلوا صغارًا" شباب يعنى".

قال نجيب محفوظ:

الاستمرار والتكيف مع السن والشخصية الجديدة معناه استمرار الموهبة، لكن الثبات على شخصية واحدة دليل أنه لا يمثل، بل يقوم

بدوره فى الحياة، لكن على الشاشة وبنصوص مختلفة، والموهبة التى تستمر مثل أمينة رزق، هى موهبة حقيقية قادرة على التكيف والتعبير والتعدد، فصاحب الموهبة الحقيقية لا يتوقف عن العطاء بسبب تقدم السن.

قلت لنجيب محفوظ:

حدثنى عن الأم فى رواياتك؟

قال:

الأم دائما هى عصب الحياة، بل هى الحياة، ومحور الأسرة.

قلت له: هذا واضح فى بداية ونهاية والثلاثية، لكننا نجد نماذج أخرى فى أفراح القبة والقاهرة ٣٠.

قال نجيب محفوظ:

فى القاهرة ٣٠ كانت ألام - أم إحسان - نموذجًا شاذًا غير أم محجوب، التى كانت نموذجًا طيبًا، أما فى أفراح القبة، فكانت الأم مظلومة عندما أساء الابن فهمها، وقدمها فى المسرحية بصورة مشوهة.

قلت له: حدثنى عن الأم فى حياتك؟

ضحك نجيب محفوظ وقال:

كانت أمى مثل الأمهات المصريات، سيدة رقيقة حنون عطوف، كذلك كان أبى ومنها تعلمت، للمرة الأولى مفهوم الحكاية، فقد كانت تحكى لى كل يوم حكاية قبل أن أنام.

وتضحك أمينة رزق وتقول:

لا يمكن أن ننسى حواديت أمهاتنا وجداتنا، ولا يمكن أن ننسى أمنّا الغولة، والشاطر حسن، وست الحسن .

وتضحك أمينة رزق ضحكتها المعروفة الممتدة.

قلت لها:

نعرف عنك الصدق فى أداء كل أدوارك، وكنت كذلك فى دور ألام فى بداية ونهاية، وكان دورًا صعبًا، لكن الدور له سمات خاصة، كيف كان إحساسك به؟

لو تلفتنا حولنا لوجدنا نماذج كثيرة مشابهة لهذه الشخصية، والمهم هو فهم الدور وإحساسه، والإحساس بالرواية ككل وبكل الشخصيات .

سألتها:

ما الشخصية التى لعبتها فنانة أخرى من شخصيات محفوظ كانت تتمنى أن تلعبها هى؟

قالت بخجل:

كنت أتمنى أن أقوم بتمثيل كل شخصيات نجيب محفوظ، لكن زميلاتى قمن بهذه الأدوار بشكل رائع، مثلاً فى الثلاثية كانت المرحومة أمال زايد رائعة، ثم قامت بالدور نفسه الزميلة هدى سلطان فى مسلسل تليفزيونى عظيم، لم يعرض مع الأسف حتى الآن فى مصر، وأنا لعبت الدور نفسه فى الإذاعة، وطبعا كان لكل واحدة منا شخصيتها، المهم هو فهم الشخصية وإجادة التعبير عنها.

سألتها

ألا تتأثر الممثلة بزميلتها التى لعبت الدور نفسه قبلها؟

لا. الممثلة الموهوبة تنسى ما صنعته زميلتها قبلها، وتندمج فى الدور، وتقدم بالقطع شيئًا جديدًا.

وقال نجيب محفوظ:

وحتى الممثلة نفسها تختلف وهى تلعب دورًا فى السينما وعلى المسرح، وأنا رأيت بداية ونهاية على المسرح، وكانت مسرحية رائعة بمقياس عصرها، ولقيت نجاحًا كبيرًا، وأنا حرصت على حضورها، ولن أنسى أبدًا المرحوم توفق الدقن، الذى لعب دور حسن، وكانت أمينة رزق كعادتها فى قمة لياقتها الفنية، لكنها كانت مختلفة عن دورها فى السينما .

وأضافت أمينة رزق: المسرحية كانت فعلاً ناجحة، وطبعًا الفرق كبير بين التمثيل على المسرح وفى استوديوهات السينما، وكل فن له متطلباته وظروفه، وفى المسرح يظهر التأثير القوى لمواجهة الجمهور مواجهة مباشرة .

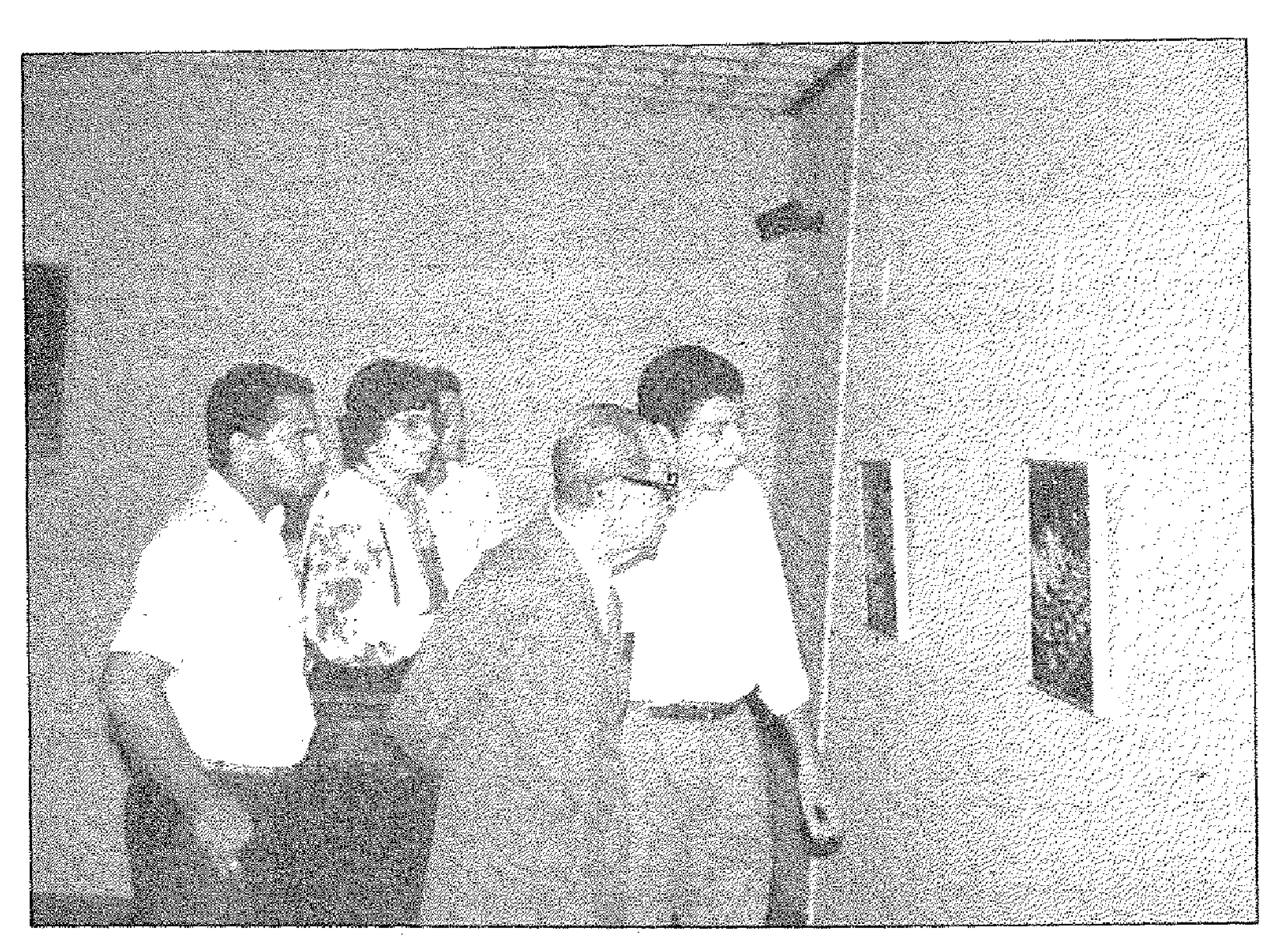
وفى نهاية هذا الحوار الممتع بين (نجيب محفوظ نوبل) وعاشقة الفن أمينة رزق، كان لابد أن نقف قليلاً أمام صورة الأم كما رسمها نجيب محفوظ، ونترك لأنفسنا الفرصة لنرى ملامح (أمينة رزق) خلال السطور.

يقول نجيب محفوظ فى وصف الأم.

كانت الأم وحدها هى عصب حياة الأسرة، وفى سبيل الأسرة انهد حيلها، وهزمت فى عامين كما لم تهزم خلال نصف قرن من الزمان، فنحلت وهزلت حتى استحالت جلدًا وعظامًا، بيد أنها لم تستسلم للمحنة، ولم تعرف الشكوى ولم تتخل عن سجاياها الجوهرية من الصبر والحزم والقوة.

وفى موضع آخر يقول : لشد ما تتجرع غصص الألم فى سكون متحملة بصبر لا يهن، ولائذة بإيمان لا يتزعزع، متشبثة بأهداب أمل لابد أن يتحقق وإن طال انتظاره.

وتجمعت الدموع ـ الدموع الحقيقية ـ فى عين أمينة رزق، وهى تستمع إلى كلمات نجيب محفوظ، واتسعت ابتسامتها وهى تتخيل كم كانت صادقة، وهى تجسد هذه الكلمات على الشاشة، ضم نجيب محفوظ كفيه أمام صدره، وهز رأسه وهو يقول. قالت الست أمينة كل هذا وأكثر، وهى تمثل دور (الست أم حسن) فى بداية ونهاية .



محفوظ فى معرض للوحات الفوتوغرافية بقاعة المعارض فى الأوبرا



لم أضع فى حسابى : لا أقبل الجائزة ولا بعدها

نجيب محفوظ يتحدث
بعد عام من "نوبل" [١] *

فى الثالث عشر من أكتوبر ١٩٨٨، تناقلت وكالات الأنباء والإذاعات، خبر حصول الكاتب المصرى الكبير نجيب محفوظ على جائزة نوبل فى الأدب، وكما كان اختيار أديب عربى لهذه الجائزة مفاجأة لكل الأوساط الثقافية فى العالم، كان مفاجأة أكبر لنجيب محفوظ نفسه.

وعلى مدار العام، كان اسم نجيب محفوظ وإنتاجه الأدبى هو مادة الحديث فى الأوساط الأدبية والثقافية فى العالم كله، تضاعف عدد

---

*الأهرام فى ٢٧/ ١٠/ ١٩٨٩

أعماله المترجمة، كما تزايد عدد اللغات التى ترجم إليها، ومضت شهور العام، تدفع بينها أسابيع، ازدحم فيها برنامج الرجل، بمواعيد اللقاءات الصحفية لكل لغات العالم، كما لمعت (فلاشات) آلاف آلات التصوير، واحتلت كلماته وآراؤه آلاف الصفحات فى كتب ومجلات وصحف العالم.

كان لابد بعد هذا العام الحافل أن نلتقى بنجيب محفوظ، وأن نرى ونسمع منه.

بالابتسامة الواسعة نفسها، والكلمات الودود المرحبة لقينى نجيب محفوظ، ازداد نحولاً، وتغير زجاج نظارته ليزداد سمكه، كما زادت متاعب سمعه، لكن تضاعف نقاء ضحكته المصرية المقهقهة، بل ربما زادت رنينًا وحلاوة، وضع أمامه قدح قهوة يرتشف منه رشفات صغيرة متباعدة، استأذن فى إشعال سيجارة.

قبل أن أبدأ حوارى معه، كنت أخاف إجاباته المقتضبة القصيرة، ولكننى وجدته فى هذه المرة يسهب فى حديثه (نسبيًا)، وكان يطيل التفكير قبل أن يبدأ جملته الأولى فى البداية قلت له:

كان حصولك على جائزة نوبل مفاجأة، وتلقيته أنت بهدوء، واعتبرته حدثًا عارضًا فى حياتك، والآن وبعد عام من هذا الحدث، وبعد استقرار الأمور، وما إحساسك الحقيقى نحو الجائزة؟

قال: كونها تكريمًا شخصيًا، وتكريمًا عامًا للأدب العربى، فهذا المعنى سيظل باقيًا، أما المتاعب التى جاءتنى بعد ذلك ولخدمة

(نوبل)، فهى ما لم أكن أتخيل أنها ستكون بهذه (الشراسة)، مقابلات صباح مساء، وصحتى لا تساعدنى على هذا المجهود.

قلت: قابل البعض نبأ حصولك على جائزة نوبل، برفض مقرون بمبررات سياسية أو دينية، ما تقييمك لهذا الموقف؟

قال: هذا الاتجاه الرافض منطقى مع نفسه، فالاتجاه الدينى المحافظ يرفض كل مظاهر الحداثة، وكان من الطبيعى أن يكون ضد الجائزة، وهى رمز لهذه الحضارة التى يعنى مقابلتها بالفرحة تقوية الجذب ناحية الحضارة الحديثة، لذلك فإننى أرى أن الحملة كانت تهدف إلى تحطيم الجائزة قبلى أنا، وحكاية أولاد حارتنا جاءت فى الطريق، وإن كانت هى المقصودة، فأين كانوا منذ ثلاثين عامًا.

قلت : هل يمكن اعتبار نجيب محفوظ من المبدعين الذين يخططون لإنتاجهم، بمعنى: هل يمكن لك أن تحدد خطة عملك خلال شهور مقبلة، وتحدد الموضوع الذى سيتناوله العمل؟

قال: الإبداع فى حد ذاته شىء تلقائى، يأتى إلى الكاتب بشكل مفاجئ وغير متوقع، أما العمل أو تحويل هذه الفكرة إلى إنتاج محدد، فهذا يخضع لخطة وبرنامج أتحكم فيهما بدقة.

ما مشروعاتك الأدبية التى كنت تنوى إنجازها قبل إعلان حصولك على جائزة نوبل، أى قبل عام؟

الحقيقة أنه منذ عام قبل نوبل وابتداء من موسم ٨٧ – ٨٨، وحتى الآن وأنا فى فراغ.

كان آخر ما كتبت (قشتمر)؟

نعم كانت (قشتمر) هى أخر ما كتبت، ومجموعة القصص القصيرة التى ستصدر قريبًا كانت مكتوبة قبل (قشتمر).

إذن فهذا الصمت ليس بسبب نوبل؟

نوبل لم تكن لتمنعنى عن الإبداع، وإن كان يمكن أن تمنعنى عن العمل، عن الكتابة، لكن الحمد لله لم يكن عندى ما أريد أن أقوله، وبالتالى لم تشغلنى نوبل عن شىء.

تعودنا أن نرى نجيب محفوظ يعيش فترات من الصمت الإبداعى، فهل تشبه فترة الصمت الحالية، والتى طالت لعامين، سابقتها أم أن لها طابعًا خاصًا؟

فترة الصمت الحالية لها طابع خاص، لأننى فى المرات السابقة، كان لدىَّ موضوعات جاهزة للكتابة، ولكن رغبتى فى الكتابة كانت ميتة، أما فى الفترة الحالية فلدى الرغبة فى الكتابة، ولكن ليس عندى فكرة مقنعة للكتابة.

نعرف أن موسم الكتابة أو الإبداع، يبدأ عندك فى أكتوبر من كل عام، ويستمر حتى إبريل، ونحن الآن فى بداية الموسم فهل سيكون موسمًا خصبًا؟

أنا أجتهد الآن لحصر كل نشاطى العام - مواعيد ومقابلات مندوبى أجهزة الإعلام - فى يوم واحد من الأسبوع، وأحاول أن

أترك بقية الأسبوع للتأمل والتفكير، فهل هناك جديد؟ إلى الآن لا أعلم.

سألت نجيب محفوظ – هل تفاجئك فترات الصمت الإبداعية؟

لا. هى لا تفاجئنى، فالفترة من إبريل إلى أكتوبر، هى عادة فترة التفرغ للتفكير، وخلالها أعد نفسى لدخول موسم الكتابة ممتلئًا بالأفكار والموضوعات، صحيح أنها تكون مجرد أفكار غير متبلورة، لكن أكون مدركًا واعيًا لما سأقوله.

وهذا الموسم؟

هذا الموسم خاو.

هل حدد نجيب محفوظ موعدًا يكف فيه عن الكتابة ؟

قال: لا. أنا لم أحدد موعدًا للتوقف عن الكتابة، والإنسان فى نظرى يكف عن الكتابة فى حالتين: إما أن يكون صمته ممتدًا، وهذا يعنى أن موهبته آن لها أن تستريح. أو أن ينفض جمهوره عنه لتغير الذوق، وفى غير هاتين الحالتين لا يمكن للكاتب أن يكف عن الإبداع، ما دامت عنده القدرة على إمساك القلم، وليس هناك عذر للفنان لأن يكف عن فنه إلاَّ إذا نضبت موهبته.

هل تتصور أن إحساسك بالقارئ يختلف عندما تكتب له بعد حصولك على (نوبل)، هل يمكن أن يؤثر الاعتراف العالمى بقيمتك الأدبية على مضمون هذا الإبداع أو كله؟

قال: طبعًا أنا لم أخض التجربة، ولكننى لا أعتقد، فأنا لم أضع العالم فى حسابى قبل الجائزة، ثم جاءتنى الجائزة، فمن الغباء أن أضعه فى حسابى بعدها.

وفى القاهرة الجديدة، وهى من أوائل أعمالك، وقفت عند المشكلات الاجتماعية فى مصر، وبعد أكثر من ثلث قرن، عدت إلى المشكلات نفسها، فى الحب فوق هضبة الهرم، وهذا يعنى – من وجهة نظرك ـ استدارة الزمن الاجتماعى، وهل نحن نعود إلى حيث انتهينا؟

متابعة مشكلات الحياة فى المجتمع هى واجب الفنان، والمشكلات الاجتماعية تختلف من عصر إلى عصر ومن جيل إلى جيل، تبعًا للظروف المحيطة به، لكن المشكلات الإنسانية باقية، والعودة إلى مناقشة المشكلات الاجتماعية نفسها فى إطار جديد، لا يعنى ثبات المجتمع، ولكن يعنى أن هذه المشكلات لم تجد لها حلاً.

ويضيف نجيب محفوظ.

زارتنى منذ أيام مراسلة إنجليزية، تعمل فى التليفزيون البريطانى، وبدأت تتحدث عن المجتمع البريطانى، وتعجبت لأنها كانت كأنها تتحدث عن مصر، مشكلات مجتمعنا نفسها، ولم تندهش عندما نبهتها إلى هذا، لأن طبيعة الاتصال والتقارب بين شعوب العالم فى عصرنا، زادت من تشابه الناس، وزادت من التماثل بينهم حتى فى المشكلات، هل تتصورى أن المجتمع البريطانى يعانى هبوط المستوى الثقافى والذوق الفنى. فى الوقت الذى يتكالب فيه الناس على جمع المال.

تزخر أعمالك بالتجارب الإنسانية المتعددة والمتنوعة، فهل جاءت من حصيلة تجاربك الشخصية، أم أنها من مجرد السماع والقراءة والمعايشة؟

نجمع تجاربنا الحياتية من خلال ما نراه وما نسمعه وما نمارسه، قد يكون ما نمارسه أقوى، ولكن قد يكون التأثر بتجارب الآخرين أقوى، لو استطاعت أن تنفذ وتصل إلى أعماق الوعى، وهذا الوصول هو شرط التعبير عنها أو كتابتها.

تحدثت أحيانًا عن تفاصيل ومشاعر وتجارب لا يمكن أن يعرفها إلاَّ من مارسها؟

ـ بعض هذه التجارب أعايشها إلى حد كبير، مثل ما حدث فى قصة (اللص والكلاب)، التى أخذتها من الصحف عن قصة محمود سليمان.

كيف كان شباب نجيب محفوظ المبكر؟ هل كنت شخصًا ملتزمًا هادئًا منظمًا؟ كما نراك الآن، ألم تكن عابثًا مثل الشباب فى هذه السن، ألم تشعر بهذه الرغبة فى أن تمارس وتتذوق وتجرب كل ما تسمع عنه وتحلم به؟

قال نجيب محفوظ: نعم كنت هذا الشاب العابث اللاهى، وجربت كل شىء ولكن فى إطار منظم، طوال الأسبوع كنت طالبًا ملتزمًا متفرغًا لدراستى وللعلم، أما يوما الخميس والجمعة فكنت شيئًا آخر، عشت حياتى طولاً وعرضًا، وكان يخيل لك أن الشاب الموجود معك

فى المنزل، ليس هو الآخر الموجود خارجه، عشت كل حياتى وجربت كل شىء، من خلال نظام وليس من خلال فوضى فاستقامت الأمور.

يبدو أنك حافظت على هذا المنهج فى حياتك حتى الآن، فأنت فى بيتك شخص منظم ملتزم تكاد تكون (سى السيد)، وفى خارجه ومع جماعة (الحرافيش) ومجموعة (قصر النيل)، تعيش حياة أخرى خاصة جدًّا، وشديدة البعد عن الشخصية الأخرى، فهل أفادك هذا فنيًا؟

نعم أفادنى فنيًا جدًا، لأنه أعطانى الفرصة للاستمتاع بكل ألوان الحياة، دون أن يطغى لون على آخر، فأنا فى المنزل زوج ملتزم وأب ملتزم.

كلها حاجات بريئة، الفن فن، واللعب لعب، والنظام يحكم كل شىء، أذكر بعض أصدقائى من شلة (الكورة)، استهلكهم لعب الكرة لأنهم اندمجوا فى اللعب، وأضاعوا دراستهم والسبب الأساسى لمحنتهم هو عدم النظام، لا أكثر ولا أقل.

هل أنت (السيد أحمد عبدالجواد)؟

ضحك، وطال صمته ثم قال:

أحمد عبدالجواد هو كل المصريين، ففى البيئات المحافظة يضطر الإنسان إلى استعمال الأقنعة، فى الدائرة الرسمية قناع، وفى حياته الشخصية ووسط أصدقائه وأحبائه قناع آخر، وعندما ينفتح المجتمع تتقارب الحياتان لتصلا إلى حياة واحدة، وهذا يعنى وصول المجتمع إلى قمة حضارته، حيث لا تكون هناك حاجة للأقنعة، فلا اختلاف، ولا تناقض بين القيم.

وقد استوقف (أحمد عبدالجواد) الناس كلها، باعتباره ظاهرة غريبة واستثنائية، رغم أنه ليس هناك من لا يرتدى القناع، كلنا أحمد عبدالجواد، ولكن بنسب مختلفة.



قرأت أدب العالم للاستمتاع والدراسة وكتبت من وحى بيئتى

نجيب محفوظ يتحدث

بعد عام من " نوبل" [٢] *

تركت نجيب محفوظ يشعل سيجارة أخرى، ولاحظت أنه ليس كثير التدخين،

قلت له : التزمت فى كل كتاباتك بالعربية الفصحى التزامًا كاملاً ورائعًا، حتى أنك أدرت الحوار بين أبطالك من الشحاتين والحشاشين وبنات الليل بالعربية الفصحى، التى طوعتها فخلقت منها ما يمكن أن يسمى العربية المصرية، ألم تشعر يومًا أن هذا الالتزام كان قيدًا على

* الأهرام فى ٣/ ١١/ ١٩٨٩

إبداعك الفنى، ألم تفكر فى أن تصنع ما صنعه توفيق الحكيم عندما أدار حوارًا بين بعض أبطاله بالعامية؟

ـ الفن فى جوهره قيود وتغلب على القيود، وحاولت طوال سنوات الكتابة أن أجعل اللغة العربية تعبر عن الحياة اليومية، كما تعبر عن الفكر المجرد، أو غيره.

وتوفيق الحكيم كان مضطرًا لاستعمال العامية لأنه كاتب مسرحى، وللمسرح مواصفاته الخاصة، فالشخص يقف أمامك ليتحدث فلا يمكن أن يتحدث بلغة غريبة عنه، وإلاَّ أحدث صدمة للمتلقى، أما فى القراءة، فالخيال يلعب دوره، أنت تتخيل الشخص وتتخيل أسلوبه، الأمر مختلف بين لغة المسرح ولغة الكتابة الروائية، وعندما كنت أواجه ضرورة فنية كنت أستعمل العامية فى لفظ أو عبارة، أو مثل شعبى حتى لا أفسد الموقف الفنى.

أنت إنسان قاهرى، كنت دائمًا ترفض فكرة السفر إلى خارج مصر، بل حافظت على التزامك بقاهريتك. كيف كان تأثير هذا الالتزام على إنتاجك؟

قال :

تمثَّل التأثير الإيجابى لهذا الالتزام فى الخبرة والعمق، أما التأثير السلبى فكان فى فقد الاتساع، وكم أشعر الآن أنه كان يجب أن أسافر، فهناك كتاب تتسع رقعتهم فتشمل المدينة والريف وأحيانًا تشمل أقطارًا أخرى أجنبية، وأعرف كتابًا كتبوا عن القارات الخمس.

وهل ما عندك قاهرى فقط؟

نعم: أنا قاهرى، ثم ضحك ممهدًا لإحدى قفشاته الجميلة، وقال: أنا "كبابجى" متخصص "مش بوفيه مفتوح"!!

هل يختلف استعدادك النفسى لكتابة المقال، وأنت صاحب مقال أسبوعى فى "الأهرام"، عنه فى حالة استعدادك لكتابة رواية أو قصة قصيرة؟

ـ يحتاج الفن لتهيئة خاصة، وانفعال معين فى الوجدان وتعبير فنى شاق، أما المقال فهو فكرة تأتى من خلال متابعة الأحداث، ونعبر عنها بلغة سهلة بقدر الإمكان، فهى شىء مختلف عن الرواية، وإن كان يجمع بينهما وحدة الفكر، فالمضامين لابد أن تكون مشتركة أو على الأقل غير مختلفة عند الكاتب الواحد، وبالنسبة لى، هما بالقطع مختلفتان تمامًا، وأنا أجد نفسى أكثر فى الأعمال الفنية، فهذه الأعمال هى نجيب محفوظ.

هل أدت الحركة النقدية واجبها إزاء إنتاج نجيب محفوظ، وما أهم هذه الدراسات؟

ـ أعتقد أن الحركة النقدية فى العالم كله، غطت إنتاجى بما هو فوق الكفاية، ومنذ سنوات طويلة خرج عديد من الدراسات حول إنتاجى، ومن الصعب هنا أن أحصر ما قدم خلال حوالى نصف قرن وفى لغات متعددة، ولكن على مستوى مصر فقط تحضرنى دراسات جيدة قدمها: محمود أمين العالم، ورجاء النقاش، وعلى الراعى

وعبدالمحسن طه بدر، ومحمد حسن عبدالله، وأحمد عباس صالح، ومحمود الربيعى، وشكرى عياد، ولطيفة الزيات، وسهير القلماوى، وحمدى السكوت، إلى جانب العديد من الشباب الذين أعدوا رسائل جامعية حول إنتاجى.

أنت إنسان هادئ مسالم لم يعرف عنك الرغبة فى الاستفزاز أو المشاكسة، لكن أبطالك كلهم شخصيات متحدية ترفض واقعها وترغب فى تغييره، فكيف تعايش هذه النماذج المتحدية فنيًا؟

فى الفن يكتب الإنسان دائمًا عن الآخرين، وليس عن نفسه، والمساحة بينه وبين هؤلاء يشغلها بالخبرة والخيال، ومن خلال هذه الشخصيات المتحدية أصور المجتمع وأعبر عن خطه الصاعد.

اطلعت على العديد من النماذج والدراسات الفنية التى تعرض لاتجاهات فنية حديثة ومبتكرة، كيف استوعبت هذه التجارب وكيف حافظت على أسلوبك وقوالبك الخاصة؟

لابد أن أطلع على النماذج العالمية بقصد الاستمتاع وبقصد الدراسة، أما عندما أبدأ فى الإبداع، فإننى يجب أن أستوحى بيئتى الخاصة، مثل المهندس المعمارى، لابد أن يدرس الأساليب المعمارية فى العالم كله، ولكنه عندما يرغب فى تصميم منزل فى مصر، فلابد أن يصمم هذا البناء المنسجم مع الظروف الخاصة بهذه البيئة، فالتقليد هنا لا يفيد، والفن لابد أن يستوحى الواقع ولا يستوحى النماذج المبهرة، أما بالنسبة للتكنيك فهو شىء عالمى، فالتكنيك الذى كُتِبَتْ به الأعمال

الفنية منذ الإغريق وحتى الآن لا يزيد على سبعة أو ثمانية أشكال، كتبت بها آلاف الأعمال الدرامية، فصاحب هذا التكنيك شخص واحد، وقد لا يكون من أعظم الكتاب، وكل مستخدم له يترك بصمة خاصة، وأنا لا أحرص على التعبير "الشكلى" قدر حرصى على الإيصال فأنا يهمنى أن أوصل فكرتى بأى شكل.

عندما يبدأ أى فنان فى ممارسة فنه يكون أمامه عادة نموذج، أو مثال يبدأ بتقليده، ثم تنمو شخصيته الفنية المستقلة، فأين كان النموذج عند نجيب محفوظ؟

فى المجتمعات الغربية يتم ترتيب هذا الأمر ترتيبًا طبيعيًا، فالأديب ينشأ دارسًا لأدباء لغته من القدماء والمعاصرين، كما يدرس نماذج من كل الآداب العالمية، وبهذا يكون معرَّضًا للتأثر والتقليد إلى أن يستقل بشخصيته، أما هنا، فى العالم العربى فنحن لا نخضع لدراسة منظمة، غالبًا، نحن نقرأ تراثنا وبعض النماذج الغربية الأصلية أو المترجمة، ولكن دون تخطيط، وعندما يبدأ أحدنا فى الكتابة يكون تأثره تأثرًا عامًا نتيجة هضم كل هذا المدد الفكرى.

مثلا، أنا قرأت تراثنا العربى والمصرى، ثم كنت تحت أجنحة طه حسين والعقاد والمازنى وتوفيق الحكيم، فكان من المفروض أن يخرج محصولى أو عملى الأول متأثرًا بهؤلاء، ولكن هذا لم يحدث، فمثلاً، عبث الأقدار لا تنتمى إلى أى من هؤلاء، وربما تنتمى لأديب غربى أخر غير هؤلاء.

ما أهم كتب التراث العربى التى قرأتها فى صباك، وتعتقد أنها أثرت فى تكوينك الأدبى والفكرى؟

ـ قرأت القرآن والأحاديث النبوية قراءة جيدة، مع مختارات من الشعر العربى القديم والحديث، وكذلك الملاحم الشعبية مثل عنترة وحمزة البهلوان، وألف ليلة والأغانى، والبيان والتبيين، من كتب الجاحظ، وبعض الآثار القديمة مثل حى بن يقظان ورسالة الغفران.

هل صحيح أنك لا تقبل على قراءة الشعر؟

غير صحيح، فأنا أحب جدًّا قراءة الشعر، وليس هناك شاعر عربى لم أقرأ له ابتداء من المتنبى وأبى العلاء وأبى نواس والبحترى وبشار.

وماذا عن الأعمال الأجنبية التى قرأتها فى صباك وتعتقد أنها أثرت فيك، وهل قرأتها بلغاتها أو مترجمة؟

بالنسبة للأدب الغربى الروائى قرأت كثيرًا، إنما هناك أعمال أساسية جدًّا مثل الحرب والسلام، والبحث عن الزمن المفقود، وموبى ديك، والعجوز والبحر، بعض هذه الأعمال قرأتها بالإنجليزية، وبعضها قرأته مترجمًا إلى العربية، ومع هذه النماذج الغربية أنا أحب قراءة أشعار حافظ شيرازى وطاغور.

يمكننا أن نطلق على بعض أعمالك الروائية اسم "الرواية السياسية" فهل يعكس هذا اهتمامك بالأمور السياسية أم المناخ العام فرض عليك هذا الاتجاه؟

يتوقف موضوع أى رواية على اهتمام الكاتب، اهتمامه كمواطن، وأنا مواطن مهتم بالسياسة.

ونحن نقترب من نهاية القرن العشرين، ما رأى نجيب محفوظ فى أهم الإنجازات التى حققتها أجيال هذا القرن؟ وما أهم الأخطاء التى ارتكبت خلاله؟

أهم إنجازات هذا القرن فى رأيى هو تحرر كثير من الشعوب المستعمرة فى العالم، إلى جانب هذا التطور الخطير فى اتجاه التقارب بين الشرق والغرب، فالعالم يتحرك نحو الوحدة، وهناك عالم جديد يتخلق، هذا العالم مرتبط بفضل ثورة التكنولوجيا وثورة المواصلات والمعلومات.

وأنا ألمح فى سنوات هذا القرن الأخيرة اتجاهًا نحو بلورة فكرة العالم الواحد، بعد أن كانت رموزًا فارغة جوفاء مثل تجربة "الأمم المتحدة"، و"عصبة الأمم"، إلى جانب هذا، أعتقد أن الإنجاز فى مجال اكتشاف الفضاء من أهم إنجازات هذا القرن.

أما أخطاؤنا فى حق أنفسنا، فأهمها هذا التلوث الخطير الذى انتهى بتدمير طبقة الأوزون، وإحداث ثقب فيها، أما الشىء الفظيع جدًّا فهو انتشار المخدرات خصوصًا بين الشباب.

من فى رأيك أهم شخصيات هذا القرن فى المجال السياسى والعلمى والأدبى؟

فى المجال السياسى، "وصمت نجيب محفوظ طويلاً ثم قال": الرئيس الأمريكى ولسون الذى وضع مبادئ برنامج السلام – بعد الحرب العالمية الأولى – ومن ضمنها ضرورة تحرير الشعوب

المستعمرة، أما فى المجال العلمى فأنا لا أملك الإجابة، فهذه تتطلب معرفة حقيقية.

أما الشخصية الأدبية فقد أتجاوز حتى إذا حاولت أن أكون موضوعيًا، ولكننى سأقول اسم أحب شخصين أدبيين إلى قلبى، وهما تولستوى وطاغور.

كانت هذه هى إجابة نجيب محفوظ عن أخر سؤال وجهته إليه، وقد احتفظت على شريط التسجيل بإجاباته الذكية المتفلسفة أحيانًا، ومع هذا الحديث الطويل احتفظت بعديد من الضحكات المصرية الصافية الممتدة من نجيب محفوظ.



هؤلاء وراء أفكارى

تعلمت من العقاد أن الجمال هو الحرية *

أفكارنا لا تأتى من فراغ، هناك دائمًا من هم وراء هذه الأفكار، أشخاص التقينا بهم، أو قرأنا خلاصة إبداعهم العقلى، فأضافوا إلى شخصيتنا خطًا جديدًا أو أكثر، وعاشوا دائمًا وراء أفكارنا.

لاشك أن الكاتب إنما يصدر عن أفكار واعية، وغير واعية تتبلور فتكون اهتماماته الذهنية، ثم تتردد بطريقة أو بأخرى فى أعماله، وإذا أردت متابعة تأثير الآخرين فى أفكارى فقد يتعذر على التفصيل.

---

* الأهرام ١٥/ ٥/ ١٩٨١

يجمع الأستاذ نجيب محفوظ فى إنتاجه بين التراث والمعاصرة، فمن يقف وراء هذا الفكر القائم على العقل والاستقلال الفكرى؟

كان الشيخ مصطفى عبد الرازق يقف وراء هذا الفكر، لأنه كان يجمع بين الإيمان العميق والاحترام الكامل لإيجابيات التراث، مع فهم يتسع للحياة والحضارة الحديثة ومتطلباتها فى مجال العلم، وكانت نظرة الشيخ مصطفى عبد الرازق لتراثنا القيم، نظرة ناقد نزيه، وهو واثق ثقة كاملة فى نفسه، فكان يرى جانبى الصورة، وكانت هذه هى إحدى بصمات الشيخ محمد عبده .

يناقش نجيب محفوظ فى كتاباته دائمًا مشكلات الطبقات الكادحة والمطحونة فى أحيائنا الشعبية، وفى هذا دعوة صريحة للعدالة الاجتماعية، فمن يقف وراء هذا الفكر السياسى والاجتماعى التقدمى فى أعماله ؟

ـ كان سلامة موسى أكبر مبشر فى جيلنا بالعدالة الاجتماعية، وبالعلم وبالرؤية العصرية، وبقدر تطرفه فى الدعوة للعلم والصناعة وحرية المرأة، كان فى الجانب السياسى معتدلاً، فلم يجنح إلى الديكتاتورية، وكان لسانًا صادقًا للفابية الإنجليزية، لذلك فأنا أعتبره الأب الروحى للاشتراكية الديمقراطية، وكان سلامة موسى واحدًا من مفكرينا القلائل، الذين ثبتوا على مبادئ واحدة من المهد إلى اللحد.

تعرض جيل الرواد إلى العديد من التيارات السياسية المتطرفة، فمن

كان يقف وراء الفكر الوطنى التحررى الذى سار فيه الكاتب نجيب محفوظ .

يجب اعتبار عباس محمود العقاد القوة المدافعة الأولى عن الديمقراطية، ومهاجمة المذاهب المضادة لها، سواء على المستوى المحلى أم العالمى. وفى سبيل الدفاع عن ديمقراطية مصر بنى العقاد مجده السياسى، وتلقى أنواعًا من الاضطهاد والقهر منها السجن والجوع، وشارك فى الحرب العالمية الثانية بقلمه دفاعًا عن الحرية، وهجومًا على الفاشية والنازية، وانعكاساتها الهزيلة داخل مصر.

لقد جاوز العقاد بمبادئه الحقل السياسى إلى الفن والأدب، حتى أن نظريته الجمالية قامت على أساس أن الجمال هو الحرية، كما كانت حياته الشخصية مثالاً كريمًا يطبق به مبادئه.

هل استطاع جيل النقاد والدارسين الذين واكبوا ظهور نجيب محفوظ ككاتب، أن يضيفوا إلى أفكاره بعدًا واضحًا؟

كان طه حسين هو خير ممثل للحرية الفكرية، والإيمان بالرأى، مهما عرَّضه هذا لهجوم خصومه، وعلى مثاله قامت مدرسة من النقاد والمؤرخين والدارسين، تعتبر قاعدة عظيمة للتفكير الحر الأدبى والفلسفى فى مصر.

وأخيرًا، من يقف وراء الأشكال الإبداعية لأفكار نجيب محفوظ الفنان؟

يقف توفيق الحكيم وراء جيلنا كله من الناحية الفنية، ومن ناحية

الفكر الفنى سواء بسواء، وكان الحكيم ولا يزال هوالبحيرة العظيمة التى تتدفق منها جداول لا حصر لها، فى القصة القصيرة والرواية والمسرحية، والمقال الفنى، بل والرؤية الفلسفية، ولا يزال أثره نابضًا فى حياتنا وفى إنتاجنا بل وفى آمالنا.

المحتويات



لقاءات وحوارات

ارتبطت المؤلفة بعلاقة زمالة طويلة مع نجيب محفوظ، من خلال الغرفة 607 فى مبنى جريدة الأهرام، سرعان ماتحولت إلى علاقة صداقة إنسانية، جمعت الأديب والصحفية، مما أتاح للمؤلفة أن تنفرد بمجموعة من اللقاءات والحوارات مع أديب نوبل، سبقت بها الآخرين وجمعتها فى هذا الكتاب لتضع أمام القارىء العربى مرحلة مهمة من حياة أديب نوبل، وكيف تلقَّى نبأ ف
بأكبر وأعظم جائزة عالمية، ومن هم أساتذ
ومالروايات والكتب المحببة إليه؟

كما أن هذه العلاقة أتاحت للمؤلفة أن تلتقى بأسرة نـ
محفوظ: زوجته وبنتيه وخرجت بحوار شيّق مع زو
وهو من الحوارات النادرة لهذه السيدة العظيمة.

الرسم والتصميم : محمد حجي

Bibliotheca Alexandrina
0624981
786
9
0481

الدار المصرية اللبنانية


6 222006 311605